



Equipes Notre-Dame

فِرَق السَيِّدة

الفرقة المسؤولة الدولية

موضوع درس للعام ٢٠١٤/٢٠١٥

تمييز علامات الأزمنة



بعض الأزواج والكهنة المستشارين الروحيين في سوبر-منطقة فرنسا، اللوكسمبورغ، سويسرا

ترجمة جورج الياس عازار

مقدّمة

يتعيّن على فرق السيّدة أن تعي بأنّها ليست ((في مواجهة)) العالم، بل هي جزء من العالم. فهي تتألّف من أزواج ينتمون إلى عصرنا، وعليها أن تتعلّم كيف تتبع الطريق التي رسمها المسيح.

أمام صعوبات التواصل في عالم اليوم، وعدم فهم هذا العالم المعقّد، وصعوبة إيجاد توافق ما، داخل حركتنا، نحن نبحث عن كيفة الإجابة على تغيير نموذج التبشير بالإنجيل.

إنّ النية الأساسيّة وراء هذا الموضوع المقترح هي أن نلفت الانتباه الشخصي، لدى الزوجين وفي الفرقة، إلى ضرورة أن نكبر في معرفة وعيش حقيقة ((الله-الأب)) الذي يسير إلى جانبنا في هذا العالم.

ومع احترامنا للطابع الدوليّ الذي تطوّرت في إطاره فرق السيّدة وانتشرت في كلّ مكان من العالم، يُعيد هذا الموضوع وضع الإنجيل في قلب حياتنا وفقاً للطريقة التي عُرضت علينا في تجمّع برازيليا. وقد تولّى بلورة هذا الموضوع لهذه السنة بعض الأزواج والكهنة المستشارين الروحيين في سوبر-منطقة فرنسا، اللوكسمبورغ، سويسرا.

هذا، وفي خط المسيرة التي رُسمت خطوطها في برازيليا، سوف تعرض عليكم الفرقة المسؤولة الدوليّة، كلّ عام، موضوع درسٍ يشكّل أداة قويّة تساعد أعضاء الفرق على أن تتبع طريقاً توحيدياً. هذه المواضيع التي يدرسها الجميع سوف تقودنا إلى أن نعيش الطابع الدوليّ للفرق، مع المحافظة على السمة الخاصة بالفرقة التي حضّرتة؛ وذلك في مسيرة من الاحترام والتواضع. ليس الهدف إذن توفير دراسة شاملة للموضوع، بل هي مسيرة مع الآخر، نلزمنا بموقف احترامٍ يقوم على الإصغاء والحوار.

((وأقبل إليه بعض الفريسيين والصدّوقيين ليُجربوه، فطلبوا منه أن يُريهم آية من السماء. فأجابهم: ((تقولون عند غروب الشّمس: سيكون صحوّ، لأنّ السماء حمراء كالنّار. وعند الفجر تقولون: اليوم مطر، لأنّ السماء حمراء على سواد. منظر السماء تعرفون أن تُفسّروه، وأمّا علامات الأزمّة فلا تقدرون أن تُميّزوها)) (متى ١٦: ١-٣)). وهكذا يبيّن لنا الربّ أنّنا، مع الأسف، لا نستطيع أن نفهم العلامات المعطاة لنا. يا للخسارة!

إنّ العلامات التي يحدثنا الربّ عنها والتي نرفض رؤيتها هي الأشياء الرائعة التي هو بنفسه وهبنا إيّاها لتحويلنا وخلصنا.

((أمام الافتتان المُمارس علينا من قبل صور الحُب الزائفة، إنّ تمييز علامات الأزمّة هو الشهادة لجمال الحُب البشريّ بحسب قصد الله)). هذه هي مهمّة الإنسان الحيويّة التي تقوده إلى أن يتيح للربّ لقاءه.

نحن نؤمن بأنّ فرق السيّدة سوف تُجري في العالم ((أنهار ماء حي)) بإسهامها مع الربّ في هذا الطريق الذي يُشكّل لنا مصدر إلهامٍ وتحديّ، والذي يُوجّهنا خاصّة ويُساعدنا على تحقيق ذواتنا.

عن الفرقة المسؤولة الدوليّة:

طو و جوزيه مورا سواريس

عرض موضوع الدرس لهذه السنة: (تمييز علامات الأزمنة)

بعد انتهاء تجمّع فرق السيّدة في برازيليا، وجّهت الفرقة المسؤولة الدوليّة رسالة إلى جميع أعضاء فرق السيّدة لدعوتهم، بقوة الحبّ، إلى الذهاب بجرأة إلى العالم والمجازفة بعيش الإنجيل والشهادة له بحيث تُجري أنهار ماءٍ حيّ.

وبالفعل، كان الأب كافاريل يتمنّى أن يكون أزواجُ فرق السيّدة، الذين هم شهودٌ على سرّ الزواج كطريق للحبّ والسعادة والقداسة، أن يكونوا علاماتِ رجاءٍ وخميرةً للكنيسة في العالم.

لمُرافقتنا في هذا الطريق، يقترح علينا موضوعُ الدرس للعام ٢٠١٤/٢٠١٥: (تمييزُ علامات الأزمنة)، أن نتساءل، في ضوء الإنجيل، عن التطوّر الحاليّ لعالم اليوم، عن المكان والدور المخصّصين للإنسان في هذا العصر، وعن معنى الحياة وكرامتها.

((كلمتُك مصباحٌ لخطاي ونورٌ لسبيلي.)) مز ١١٨ (١١٩): ١٠٥.

إنّ كلمة الله، ينبوع الحكمة والديناميّة، سوف تكون نقطة انطلاقٍ تفكيرنا. فلندعُ أنفسنا تلمسُ وتزعجُ وتخرّبطُ بهذه الكلمة التي يصفها البابا فرنسيس بـ«القدرة المحرّرة والمجدّدة». إنّ عودتنا إلى أصول إيماننا هي الطريق الأضمن لكي نستشفّ في الأحداث التي نعيشها وفي الطلبات التي نلّاها، علاماتٍ حقيقيّة لحضور الله وتدبيره. وحدها نظرة إيمان واعية لآلام العالم، إنّما مُفعمّة بالرجاء، تستطيع الإسهام في بناء عالمٍ تبلغ فيه محبّة الله ملاءها.

يتألّف هذا الموضوع من ثمانية فصول، تختتمُ بفصلٍ تاسعٍ تقييميّ، وهي:

١. النظر بإيجابيّة إلى العالم؛

٢. النّظر إلى العالم في حالة صيرورة؛

٣. بناء حضارة الحبّ؛

٤. احترام الشخص البشريّ؛

٥. الفقير حبيب الله؛

٦. أن أكون حاضرًا للآخر؛

٧. أن أكون اليوم تلميذ المسيح؛

٨. شموليّة رسالة المسيح.

وفصلٍ تاسعٍ وأخيرٍ للتقييم.

كلّ فصلٍ من هذه الفصول يتمحور حول كلمة الله مع تعليق مختصر عليها، يليها عرضٌ عامّ لموضوع الفصل، وبعده ثلاثة نصوص يتناول كلٌّ منها مقارنةً للمسألة.

ولتعمّق أفضل في موضوع هذه السنة، نجد في كلّ فصل مسارات تفكيرٍ لإغناء كلّ قسمٍ من أقسام اجتماع الفرقة: المشاركة الحياتية، المشاركة الروحية، الصلاة، تبادل الآراء حول موضوع الدرس. كما نجد أيضًا مساراتٍ مقترحةً لواجب المجالسة.

هناك أيضًا سؤال، أو ((خيطة أحمر)) لتحديد خطّ هذه المسيرة، يُعرض علينا في كلّ اجتماع وهو التالي: ((بماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبةٍ ملائمةٍ لعلامات الأزمنة؟)).

ويُختتم كلّ فصل بمزمور.

إنّ تمييز علامات الأزمنة هو طريقٌ جميلٌ يقودنا إلى الإعجاب بحُبّ الله والعيش منه والشهادة له.

تميز علامات الأزمنة

الاجتماع الأول

النظر بإيجابية إلى العالم

أولاً- كلمة الله

(وتكون بركةً)

« ١ وقال الرب لأبرام: «انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، إلى الأرض التي أريك. ٢ وأنا أجعلك أمةً كبيرةً وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. ٣ وأبارك مباركك، وألعن لأعنيك، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض». ٤ فانطلق أبرام كما قال له الرب، ومضى معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة، حين خرج من حاران. ٥ فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وجميع أموالهما التي آقتنيها والنفوس التي امتلأها في حاران، وخرجوا ليمضوا إلى أرض كنعان، وأتوا أرض كنعان.»

(تك ١٢: ١-٥)

إن موقف إبراهيم في هذا المقطع جعل منه أباً ومثالاً للمؤمنين. فهو يُصغي إلى الله ويُطيعه بدون أي انتظار، واثقاً بالوعد الذي قطعه الله له، بالرغم من استحالة الظاهرة.

إن ثقة إبراهيم في محبة الله تُعتبر، في الفصل الأول من الرسالة العامة (نور الإيمان)، مثل فعل مؤسس للإيمان: «هذه الكلمة التي قيلت لإبراهيم هي دعوة ووعد. إنها قبل كل شيء دعوة إلى الخروج من أرضه الخاصة، إلى الانفتاح على حياة جديدة، وبداية خروج يقوده نحو مستقبل غير متوقع. إن الرؤية التي سيمناها الإيمان لإبراهيم سوف ترتبط دائماً بهذه الخطوة إلى الأمام التي كان عليه إتمامها. الإيمان (يرى)، مع تقدم إبراهيم في مسيرته، ومع دخوله في المساحة المفتوحة بكلمة الله» (الرسالة العامة (نور الإيمان)، البابا فرنسيس، ٢٩ حزيران ٢٠١٣).

ثانياً- عرض للفصل

تميز علامات الأزمنة يعني الرغبة في أن نتبين ونفهم ما يشكّل، في عالم اليوم، علامة حضور الله. يرتكز الإيمان المسيحي على وضع ثقنتنا في محبة الله، وبالتالي، في كلمته. فإله قادر على تحويل العالم. والرجاء هو في قلب إيماننا.

يُحَدِّثُنَا البابا فرنسيس، في محادثاته مع الأب سبادارو اليسوعي، من كلِّ أشكال الانهزامية أو التشاؤم. (إنَّ المناحات التي تفضح عالمًا «بربريًا») تُوَدِّي بالنهاية إلى أن تولِّد في داخل الكنيسة رغباتٍ من نَمَطٍ يُفْهَمُ كنوعٍ من المحافظة الصَّرف أو كَرَدَّةٍ فِعْلٍ دَفَاعِيَّةٍ (دراسات، تشرين الأول ٢٠١٣).

إذا أردنا الإسهام في «مجيء الملكوت»، يتعيَّن علينا أن نقبلَ تغييرَ نظرتنا إلى العالم، وأن نعيد النظر في بعض أحكامنا وأن نغيِّرَ بعضَ تصرُّفاتنا. فأُنْ نشهد لمحبة الله هو أن نقبل بأن ننطلق إلى اكتشاف الآخر الذي لا يُشْبِهُنَا. وأنْ نشهد لمحبة الله هو أن نسعى إلى فِهْمٍ ما يشكِّل في عالمنا اليوم علامةً على حضور الله، وأن نُعلَنَ بفرحٍ للناس البشري الصالحة. لم يأت يسوع ليُجْعَلِ الحياة سهلة، بل جاء ليحمل نارًا إلى الأرض. فأن يكون الإنسان مسيحيًّا يعني أن يجازف بالتعرُّض بثقة لهذه النار.

منذ المجمع الفاتيكاني، كان الدستور الرعائي («الكنيسة في عالم اليوم») (الفصل ١: ١٧) قد دعا الكنيسة إلى أن «تقوم بهذه المهمة أحسن قيام، وأن تتفحص في كلِّ آن علامات الأزمات وتفسرها على ضوء الإنجيل، فتستطيع أن تُجيب بصورة مُلائمة لكلِّ جيلٍ، على أسئلة الناس الدائمة حول معنى الحياة الحاضرة والمستقبلية، وحول العلاقات القائمة بينهما. فإنَّه من الأهمية بمكان أن نطلِّع على العالم الذي نعيش فيه ونفهمه مع ما يحمله من أشواقٍ ورغباتٍ وما يتميِّز به في أغلب الأحيان من المآسي».

ثالثًا - نصوص للتفكير

تفحص وتفسير علامات الأزمات في ضوء الإنجيل

من واجب الكنيسة، كي تقوم بهذه المهمة أحسن قيام، أن تتفحص في كلِّ آن علامات الأزمات وتفسرها على ضوء الإنجيل، فتستطيع أن تُجيب بصورة تتلاءم مع كلِّ جيلٍ على أسئلة الناس الدائمة حول معنى الحياة الحاضرة والمستقبلية، وحول العلاقات القائمة بينهما. فإنَّه من الأهمية بمكان أن نطلِّع على العالم الذي نعيش فيه وأن نفهمه مع ما يحمله من أشواقٍ ورغباتٍ وما يتميِّز به في أغلب الأحيان من المآسي. وفيما يلي بعض الملامح الأساسية لهذا العصر.

يعيشُ الجنس البشريُّ اليومَ طورًا جديدًا من تاريخه يتميِّزُ بتغيُّراتٍ عميقة وسريعة تمتدُّ رويدًا رويدًا إلى الكرة الأرضية بأسرها. إنَّ هذه التغيُّرات التي يُحدِّثها الإنسانُ بفضلِ نكائه وعمله الخلاق تتردُّ عليه وعلى أحكامه ورغباته الفرديَّة والجماعيَّة وعلى طُرُقِ تفكيره وتصرُّفاته، سواءً بالنسبة إلى الأشياء أو بالنسبة إلى أمثاله، إلى حدِّ أنَّه من المُمكن أن نتكلَّم على تبديلِ جذريِّ حقيقيِّ اجتماعيِّ وثقافيِّ تتعكسُ نتائجه حتى على الحياة الدينيَّة.

وكما هو الحال في كلِّ أزمةٍ نُموٍّ، لا يحصل هذا التحوُّلُ بدون صعوباتٍ جديَّة. وهكذا، في حين إنَّ الإنسانَ يَبْسُطُ نفوذه واسِعًا جدًّا، فهو لا يتوصَّلُ أبدًا إلى أن يصير سيِّدَ الموقف. وإذ يجتهد في أن يخترق

بشكل متزايد نوايصة كيانه الأكثر سرية، فهو يبدو غالباً غير واثقٍ من نفسه، ويكتشف شيئاً فشيئاً، وبوضوح أكبر، قوانين الحياة الاجتماعية، لكنه يتردد في التوجهات التي يجب أن يطبع بها.

تتعم البشرية اليوم بفائضٍ من الثروات والإمكانيات وبقوة اقتصادية لم تتعم بها في ما سلف، ومع ذلك فإن قسماً كبيراً من سكان الأرض يعرضهم نابُ الجوع والشقاء، وكثيرون منهم يجهلون القراءة والكتابة. لم يتوصل البشر كما توصلوا اليوم إلى إدراك معنى الحرية بكل أبعاده، لكن، في الوقت نفسه، تظهر أشكالاً جديدة من الاستعباد الاجتماعي والنفسي. وبينما يشعر العالم شعوراً قوياً بوحديته وبرباطات متبادلة بين الجميع في تضامهم الضروري، يتنازعُه بقساوة تضاد القوى المتحاربة: فالخلافات السياسية والاقتصادية والعنصرية والعقائدية لا تزال قائمة، كما أنه لا يزال مخيماً خطر وقوع حربٍ تقدر على إفناء كل شيء. إن تبادل الأفكار يتزايد، ولكن الكلمات ذاتها التي تستعمل للتعبير عن مفاهيم ذات أهمية كبرى، تتخذ معاني متباينة جداً وفقاً للعقائد المختلفة. وأخيراً تسعى البشرية مجتهداً لإيجاد تنظيم زمني أكمل، بدون أن تصحب هذا التقدم انطلاقة روحية متوازية.

أما وقد طبع عدد كبير من معاصرنا بوضع معقد، فإنهم يلاقون صعوبة كبرى في تمييز القيم الثابتة، وفي الوقت نفسه لا يعلمون كيف يوقفون بينها وبين الاكتشافات الجديدة. إنهم لفي حيرة يتساءلون بمزيج من الأمل والقلق عن تطور العالم الحالي. وهذا التطور يتحدى الإنسان أو بالأحرى يرغمه على الجواب. (دستور رعائي (الكنيسة في عالم اليوم))، توطئة: ٤)

رؤية الله يعمل في العالم

... يمكن القول إنه، بالنسبة إلى عدد معين من المسيحيين وحتى من اللاهوتيين، كان هناك، قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، نوع من الطلاق بين منطق الوحي والإيمان ومنطق تطور العالم. والحال، إن ما أراده المجمع قبل كل شيء هو النظر إلى العالم نظرة جديدة، لا لكي يدينه، بل لكي يدرك أن روح الله يعمل فيه منذ بدء الخليقة، وأنه يواصل العمل في هذا العالم ويواصل إنتاج ثمار من أجل خير الإنسان. كل ذلك لا يزيل عيوب عالمنا ولا أخطاء البشر ولا خطيئتهم. غير أن ذلك يتيح لنا بأن نعي أن في الخبرة البشرية قوى حقيقية نستطيع الاستناد إليها لبناء عالم أفضل.

هذا المنظور، هذه النظرة المحبة العالم كانت حدساً أساسياً في المجمع الفاتيكاني الثاني. كما أنها تحمل طريقة معينة لفهم الإنسان. إن الأقدمين بينكم أو الذين قرأوا كثيراً ربما يتذكرون أنه، مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، لم تكن بعض التيارات الفكرية تعتبر أن الإنسان يمكنه إثبات ذاته إلا في إنكار الله. فالعلاقة بين الله تمر بالضرورة بنوع من الإلغاء المتبادل: إذا كان الله موجوداً يكون الإنسان غير موجود، وإذا كان الإنسان موجوداً فالله غير موجود. هذا المنطق الجهمي هو الذي اخترق مجتمعاتنا وأنشأ نوعاً

من النزاع الدائم بين تقدّم البشريّة وتقدّم الإيمان بالله. لقد أراد المجمع إظهار أنّ هذا النزاع ليس إلاّ نزاعاً مصطنعاً بلوّره أناسٌ فكّروا وصاغوا نظريّةً معيّنة، لكنّها لا تتطابق مع واقع الكون.

إنّ الإنسان موجودٌ في العالم لأنّ الله أراد ذلك، والله أراد الإنسان لكي يكون شريكه. وهذه الشراكة بين الله والإنسان ترتكز أساساً على ما في كلّ إنسان من قدرة على أن يختار الحرّيّة ويحيا فيها. فلأنّ الإنسان حرٌّ فهو قادر على أن يجيب الله، ونحن لا نستطيع أن نجعل البشريّة تتقدّم في علاقتها مع الله ما لم نعمل بطريقة دائمة على تنمية هذه الحرّيّة، وعلى إزالة كلّ ما يمنعها من الوجود، وعلى بناء الظروف الكفيلة بتوفير الخيار الحرّ في الوجود البشريّ.

هذه هي المبادرة الكبرى والحدس الرائع اللذان برزا في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، واستُعيدا بشكل واضح في دستور ((الكنيسة في عالم اليوم))... لقد الرّمنا هذا الدستور، مع مجمل نصوص المجمع، إلزاماً نهائياً بالدخول في علاقة حوارٍ مع العالم، وليس في علاقة إدانةٍ للعالم.

الكريدينال أندريه فان-تروا، رئيس أساقفة باريس إلى أساقفة فرنسا، آذار ٢٠١٢

الحياة بعيني الله

((ذات يوم، كان رجلٌ عجوز جالساً عند مدخل مدينة في الشرق الأوسط. فتقدّم منه شابٌ وقال له: لم آتِ إلى هنا من قبل، قل لي: كيف هم الناس العائشون في هذه المدينة؟ فأجابه العجوز بسؤال: وكيف هم الناس في المدينة التي أنت قادمٌ منها؟ فأجاب الشاب: أنايتون وأشرار؛ ولهذا السبب كنت مسروراً بالابتعاد عنهم. فردّ عليه العجوز: سوف تجد نفس الناس ههنا. بعد ذلك بقليل، اقترب من العجوز شابٌ آخر وطرح عليه السؤال نفسه: لقد وصلتُ للتوّ إلى هذه المنطقة، وأجِب أن أعرف كيف هم الناس الذين يعيشون في هذه المدينة؟ فأجابه العجوز بالسؤال نفسه: قل لي، يا بُني: كيف هم الناس في المدينة التي جنّت منها؟ فأجاب الشاب: هم طيّبون ومضيافون وشرفاء؛ وكان لي بينهم أصدقاء كثيرون؛ وأنا أشعر بحسرة كبيرة لأنّي تركتهم. فقال له العجوز: سوف تجد هنا الناس والأصدقاء أنفسهم. وصادف أن كان تاجرٌ ماراً هناك وقد توقّف في المكان ليَسقي جمالَه، فسمع المُحادثتين. فما أن ابتعد الشاب الثاني، حتى دنا التاجر من العجوز، وبلهجة عَنبٍ قال له: كيف استطعت أن تعطي جوابين متناقضين تماماً على نفس السؤال المطروح من قبل الشخصين. فأجابه العجوز: ((من يفتح قلبه يُغيّر أيضاً نظرتَه إلى الآخرين؛ فكلُّ إنسان يحمل عالمَه في قلبه)).

... إنّنا نرى ما نراه انطلاقاً ممّا نحن. فوراء بعض حقائق الحياة، المعقّدة والمؤلّمة أحياناً، هناك نساءٌ ورجال، حياتهم كنايةٌ عن شكوى معذّبة؛ ثم هناك نساءٌ ورجال يقضون حياتهم في جوٍّ من اللطف والوداعة. نحن البشر مطبوعون جميعاً كلّ واحدٍ بتاريخه الخاص. والأمرُ الجوهريّ هو أن نجد على دروبنا أشخاصاً يأخذون بيدينا ويُنهضونا حين نتعثّر. هؤلاء الأشخاص هم علاماتٌ مرتبّة لحضور الله في

قلب بشریتنا. فہم یحثوننا علی أن نزی، وبخاصة علی أن نحیا الحیاة بشكلٍ مختلف. فی الواقع، إن رؤیة العالم تتحول، بواسطة قلبنا، تحولاً كاملاً، لأنّ الإیمان والرجاء والمحبّة هی العیون التي نتمكّن بها من التقدّم فی طریقنا كمؤمنین ومؤمنات. من هنا، فأنّ نحیا بعیني الله هو أن ننظر إلى العالم بإیمان، وهذا یعنی أن تكون لنا دائماً ثقةً بالآخر، وأن نعترف بأنّه، حتی ولو تعرّض للهلاك، یبقی باستطاعته أن یقف علی رجليه ويمشي من جدید فی طریق حیاته. هناك، إذن، ثقة فی الكائن البشريّ بالرغم من جمیع ضعفاته.

والحیاة بعیني الله هی أيضاً النظرُ إلى العالم برجاء. فالرجاء یغادر قلبنا نهائياً إن لم یكن هناك علامات تقول لنا إنّ الزمن هو أحياناً هذه الفترة الضرورية للكائن البشريّ لكي یستطیع القيام باكتشافاته الخاصة والنضوج نتیجة إخفاقاته... إنّ المحبّة تتيح لنا احترامَ الطریق الشخصيّ لكلّ كائنٍ بشريّ ومُرافقته حتی ولو أخطأ، وخصوصاً أن نبتهج ونفرح عندما یعود إلى نفسه. إنّ المحبّة تتسم دائماً بالتعاطف والرأفة وهي بذلك تُتيح للإنسان أن یصیر قادراً علی أن یعیث الغفران أو بالأحرى المصالحة. فأنّ یكون لدى المرء الإیمان والرجاء والمحبّة یعنی أن یحمل نظرةً أخرى إلى العالم، لأنّ كلّ واحدٍ مِنّا یحمل الكون فی قلبه.

فیلیب كوشینو، الدومینیکانی

رابعاً - مسارات لواجب المجالسة

- ماذا یمكننا القول عن وضعنا كزوجین وعلاقتنا بالعالم الیوم: رجاء، قلق، انطواء؟
- ماذا یعنی لنا ((اتباعُ المسیح))، فردیاً، وكزوجین؟ الصعوبات والأفراح.
- هل نندرب كلّ یوم علی أن نحمل نظرةً إیمان إلى شریك حیاتنا؟ أيّ مكان للغفران ولالإصغاء؟

خامساً - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- ما هی الأحداث التي عشناها هذا الشهر فی الرجاء المسیحی، وتلك التي عشناها فی تجربة الانطواء علی الذات؟
- ما هی علامات حضور الله التي تلقيناها فی حیاتنا؟

صلاة

« وقال الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «انْطَلِقْ مِنْ أَرْضِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَبَيْتِ أَبِيكَ، إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢ وَأَنَا أَجْعَلُكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكُكَ وَأَعْظِمُ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَةٌ. ٣ وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَالْعُنُ لَاعِنِكَ، وَيَتَبَارَكُ بِكَ جَمِيعُ عَشَائِرِ الْأَرْضِ». ٤ فَانْطَلَقَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ، وَمَضَى مَعَهُ لُوطُ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنُ خَمْسٍ وَمِئَتَيْ سَنَةٍ، حِينَ خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. ٥ فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَى امْرَأَتَهُ وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ وَجَمِيعَ أَمْوَالِهِمَا الَّتِي آفَقَتْهَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَاها فِي حَارَانَ، وَخَرَجُوا لِيَمْضُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَتُوا أَرْضَ كَنْعَانَ.» (تك ١٢: ١-٥)

((الإيمان (بِرَى))، بمقدار ما يتقدم إبراهيم في مسيرته، حيث يدخل في المساحة المفتوحة بكلمة الله))
(الرسالة العامة (نور الإيمان))، البابا فرنسيس، ٢٩ حزيران ٢٠١٣).

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- الصلاة ينبوع الشركة مع العالم ومدرسة رجاء. هل بوسعنا إعطاء بعض الأمثلة على هذا القول؟
- في أية ظروف ساعدتنا قراءة كلمة الله على أن يكون لنا نظرة إيمانٍ إلى الآخرين وإلى العالم الذي نعيش فيه؟
- هل إنَّ طبيعة (قاعدة الحياة) المعتمدة من قِبَلنا كفيلةٌ بأنْ تُحرِّرنا من حالات اللامبالاة وعدم التنبُّر اليوميَّة؟

تبادل الآراء حول موضوع الدرس - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاءُ إلى كلمة الله وإنارةُ الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- هل إنَّ النزاع بين تقدُّم البشريَّة وتقدُّم الإيمان بالله هو نزاع مصطنع؟
- أيَّةُ علاقةٍ نقيمها مع العالم الذي نعيش فيه: إصغاء، حوار؟ إدانة؟ عمل؟ وأيَّة انعكاسات ملموسة في حياتنا؟
- كيف وبماذا يحوّل الإيمان والرجاء والمحبة رؤيتنا لله؟

المزمور ١٨ (١٩)

- ٢ السَّمَوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْجَدُّ يُخْبِرُ بِمَا صَنَعَتْ يَدَاهُ.
- ٣ النَّهَارُ لِلنَّهَارِ يُعْلِنُ أَمْرَهُ وَاللَّيْلُ لِلَّيْلِ يُذِيعُ خَبْرَهُ.
- ٤ لَا حَدِيثٌ وَلَا كَلَامٌ، وَلَا صَوْتٌ يَسْمَعُهُ الْأَنَامُ.
- ٥ بل في الأرض كلها سطور بارزة، وكلمات إلى أقاصي الدنيا بينة. هناك للشمس نصب خيمة.
- ٦ وهي كالعريس الخارج من خدره وكالجبار تبتهج في عدوها.
- ٧ من أقاصي السماء خروجها وإلى أقاصيها مدارها، ولا شيء في مأمن من حرها.
- ٨ شريعة الرب كاملة تنعش النفس، شهادة الرب صادقة تعقل البسيط.
- ٩ أوامر الرب مستقيمة تفرح القلوب، وصية الرب صافية تثير العيون.
- ١٠ مخافة الرب طاهرة تثبت للأبد، وأحكام الرب حق وعدل على السواء.
- ١١ هي أشهى من الذهب ومن أخلص الإبريز، وأحلى من العسل ومن قطر الشهاد.
- ١٢ وعبدك أيضا يستتير بها وفي حفظها ثواب عظيم.
- ١٣ من الذي يتبين زلاته؟ من الخفايا طهني.
- ١٤ وأحفظ من الكبرياء عبدك فلا تتسلط علي، حينئذ أكون كاملاً ومن معصية عظيمة مطهراً.
- ١٥ لتكن أقوال فمي وخواطر قلبي مرضية لديك، أيها الرب، صخرتي وفادي.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع الثاني

النظر إلى العالم في حالة صيرورة

أولاً - كلمة الله

«إنَّ الخَلِيقَةَ جَمَعَاءَ تَتُّنُّ إِلَى اليَوْمِ مِنَ آلامِ المَخَاضِ»

«^{١٨} وأرى أنَّ آلامَ الزَّمنِ الحَاضِرِ لا تُعَادِلُ المَجْدَ الَّذِي سَيَتَجَلَّى فِينا. ^{١٩} فالخَلِيقَةُ تَتَنظَرُ بِفارغِ الصَّبْرِ تَجَلِّيَ أبناءِ اللهِ. ^{٢٠} فقد أُخْضِعَتْ لِلباطِلِ، لا طَوْعًا مِنْها، بل بِسُلْطانِ الَّذِي أُخْضِعَها، ومع ذلك لم تَقْطَعْ الرَّجاءَ، ^{٢١} لأنَّها هي أيضًا سَتَحَرُّرُ مِنَ عُبُودِيَّةِ الفِسادِ لِتُشارِكَ أبناءَ اللهِ في حُرِّيَّتِهِمْ وَمَجْدِهِمْ. ^{٢٢} فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الخَلِيقَةَ جَمَعَاءَ تَتُّنُّ إِلَى اليَوْمِ مِنَ آلامِ المَخَاضِ، ^{٢٣} وليست وَحدها، بل نَحْنُ الَّذينَ لَنا باكَورَةُ الرُّوحِ تَتُّنُّ فِي الباطِنِ مُنْتَظِرِينَ التَّبَيُّي، أَيِ افْتِدَاءِ أَجسادِنا، ^{٢٤} لأنَّنا فِي الرَّجاءِ نَلْنا الخِلاصَ. فَإِذا شُهِدَ ما يُرْجى لَمْ يَكُنْ رَجاءً، وما يُشاهِدُهُ المَرَّةَ فَكَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟ ^{٢٥} وَلَكِنْ إِذا كُنَّا نَرْجُو ما لا نُشاهِدُهُ فبالثَّبَاتِ نَنْتَظِرُهُ.»

(رو ٨: ١٨-٢٥)

هذا نشيد رائع يُشيدُ بِنقمةِ المَسيحِيِّ بِمحبَّةِ اللهِ. ففي نَفخةِ قوِيَّةِ، يَجْتَذِبُنا بولُسُ الرِسالِ مِنَ «آلامِ الزَّمنِ الحَاضِرِ»، نَحوِ أعالي «مَجْدِ أولادِ اللهِ». انتَظَرُ، أنِينُ، تحرُّرُ، توقُّ، ولادة... هذه الانطلاقَةُ، انطلاقَةُ الإيمانِ العميقة، تقودُنا إلى الحَقيقةِ الوحيدةِ الراسخة: نَحْنُ أولادُ اللهِ! وما نحنُ سَوفَ يُعْتَلَنُ: فبواكيرِ الرُوحِ القدسِ سَوفَ تَجِدُ تَفْتَحَها وازدهارَها. لأنَّنا فِي صيرورةِ.

هذا النشيد، نشيدُ الرجاءِ، يُصَوِّبُ نَظَرَتَنا إلى عَالمِ البَشرِ، إِنَّمَا أَيْضًا إلى الخَلِيقَةِ التي هي بيئُ البَشرِيَّةِ المُشترَكَ.

ثانيًا - عرض الفصل

أن نُميِّزَ عَلاماتِ الأَزمِنَةِ يعني أن نَعتَبِرَ تَحوُّلاتِ العَالمِ كمرَاحِلَ مَصرِيَّةِ، هذا المَصريرِ الَّذِي يَدعونا اللهُ إلى المَشارَكةِ فِيهِ.

لقد خلق الله العالم، إلا أن الخليفة لم تكتمل بعد، لكنّها مستمرة، وعلينا المشاركة في إكمالها: ((أراد الله أن يخلق العالم في حالة مسيرة نحو اكتماله النهائي الذي يتعيّن عليه بلوغه)) (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، العدد ٣٠٢). وقد أوكل للإنسان مسؤوليّة ((إخضاع الأرض والتسلّط عليها)) (تك ١: ٢٦-٢٨).

إنّ قدرة الإنسان على تحويل العالم تُطابق مخطّط الله. ((فالقاعدة للنشاط الإنسانيّ هي: أن يكون مطابقاً لخير الإنسانية الحقّ وفقاً لتصميم الله وإرادته. كما عليه أن يتيح للإنسان، أكان فرداً أم عضواً في جماعة، ما من شأنه أن يجعله مُزدهراً وفقاً لكمال دعوته)) (الدستور الرعائي ((الكنيسة في عالم اليوم)) ٣٥: ٢). إنّ العلوم والتكنولوجيا هما مواردٌ ثمينةٌ لتسهيل التقدّم البشريّ؛ ولكن، ينبغي السهر، كما يدعونا إليه الرسول بولس، على ((ألاّ يُحوّل روح الباطل والخبث النشاط البشريّ المنظمّ لخدمة الله والإنسان إلى أداةٍ للخطيئة)) (راجع رو ١٢: ٢).

إنّ الحرّية الموهوبة للإنسان تستلزم منه ((إمكانية الاختيار بين الخير والشرّ)) (راجع التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، العدد ١٧٣٠/١٧٣٢). غير أنّ الطبيعة البشريّة منذ الخطيئة الأصليّة قد ضعفت ومالت إلى الشرّ. إنّ ولادة ملكوت الله، كما يقول القديس بولس، لا يمكن أن تحصل بدون آلام وصعوبات. فالصراع الروحيّ ضد جميع أشكال الشرّ يفرض نفسه. وكلّ مظهر انحطاط يتضمّن في ذاته بذرة واقع جديد. فالاستسلام والإصرار على السلبية يعنيان التخلّي عن أن نكون ((شركاء الله)). وكلّ إنسان، وفقاً للمكان الذي يُشغله وللدور الذي يقوم به، له نصيبه في تقدّم الخير المشترك. ((الله الذي خلقك من دونك، لا يُخلّصك من دونك)) (القديس أوغسطينس).

ثالثاً - نصوص للتفكير

مساعدة الطبيعة على التفتح والازدهار بحسب الخط الذي أراده الله

٤٦٠- يجب على الإنسان ألاّ ينسى ((أنّ قدرته على تحويل العالم، وبمعنى ما، على خلق العالم، من خلال عمله (...))، تتمّ دائماً انطلاقاً من العطاء الأول الأصليّ للأشياء الذي قام به الله. وعليه بالتالي ألاّ يتصرّف اعتباطياً بالأرض، مُخضعاً إيّاها بإفراط لإرادته، كأنّما ليس لها شكلٌ وغايةٌ مُسبقين حدّدهما لها الله. وإذا كان بوسع الإنسان أن يُطوّرها فيجب عليه ألاّ يخونها)). حين يتصرّف الإنسان على هذا النحو، ((فعوضاً عن أن يؤدّي دوره كشريكٍ لله في عمل الخلق، فهو يحاول أن يحلّ محلّ الله، وبذلك ينتهي به الأمر إلى أن يستفزّ الطبيعة ويدفعها إلى الثورة مستعبداً إيّاها بدلاً من أن يسوسها)).

إذا كان الإنسان يتدخّل في الطبيعة بدون أن يستغلّها وبدون أن يُتلفها، يمكن القول ((إنّه يتدخّل ليس من أجل تعديل الطبيعة بل لكي يساعدها على التفتح في خطّها، خطّ الخليفة الذي أراده الله. فالباحث، من

خلال عمله الدقيق في هذا الحقل، ينضمُّ إلى مخطِّط الله. إذ إنَّ الله أراد أن يكون الإنسانُ سيِّدَ الخليقة). وفي الأساس، الله نفسه هو الذي يمنح الإنسان شرفَ المساهمة مع جميع قوى العقل في عمل الخلق.

٤٧٢- في السنوات الأخيرة فرضت نفسها بقوة مسألة استخدام التقنيات البيولوجية الجديدة لأهداف ترتبط بالزراعة والتقنيات الحيوانية والطب والمحافظة على البيئة. إنَّ الإمكانيات الجديدة التي تقدِّمها التقنيات البيولوجية والبيوجينية الحالية تُثير الآمال والحماسة من جهة، والإنذارات والعداوات من جهة أخرى. إنَّ تطبيقات التقنيات البيولوجية، ومشروعيتها الأخلاقية، ونتائجها على صحَّة الإنسان، وتأثيرها على البيئة والاقتصاد، تشكِّل موضوعَ دراساتٍ معمَّقة ونقاشاتٍ حادَّة. فالأمر يتعلَّق بمسائل خلافية تُورِّطُ فيها العلماء والباحثين والسياسيين والمُشرِّعين والاقتصاديِّين والبيئيين والمنتجين والمستهلكين. إنَّ المسيحيين، الواعين لأهمية القيم التي ينعكس عليها كلُّ ذلك، لا يمكنهم أن يكونوا لامباليين تجاه هذه الإشكاليات. (مقتطفات من خلاصة العقيدة الاجتماعية للكنيسة)

ما معنى التقدُّم للإنسان، وأيُّ مكانٍ لحرِّيته؟

٢٢- ... قبل كلِّ شيءٍ علينا أن نسأل أنفسنا: ما هو المعنى الحقيقي لكلمة (تطوُّر)؛ ما الذي يَعِدُّ به وما الذي لا يَعِدُّ به؟ منذ القرن التاسع عشر، ظهرَ نقدٌ تجاه الإيمان بالتطوُّر... فإن لم يُرافق التطوُّر التقنيُّ تطوُّرًا في تنشئة الإنسان الأخلاقية، وتطوُّرًا في نموِّ الإنسان الداخلي (راجع أف ٣: ١٦؛ و ٢ كو ٤: ١٦)، عندئذٍ، لا يكونُ التطوُّرُ تطورًا بل تهديدًا للإنسان والعالم.

٢٤، أ)- إنَّ الوضعَ السَّويَّ للأمور البشرية، أي رخاء العالم الأخلاقي لا يمكن أبدًا أن تضمَّنَه بُنياتٌ معيَّنة مهما كانت قيمتها. هذه البُنَيَاتُ ليست هامةً فحسب، بل هي ضروريةٌ أيضًا؛ لكن، وبالرغم من ذلك، لا يُمكنها، بل يتعيَّن عليها، ألاَّ تستبعدَ حرِّيَّةَ الإنسان. فحتى أفضل البُنَيَاتِ لا تسير بشكلٍ جيِّدٍ إلاَّ إذا كانت تسري في جماعاتها قناعاتٍ حيَّةٍ قادرة على أن تشكِّل دافعًا للناس لكي يتبعوا بحرية النظام الجماعي. فالحرية تحتاج إلى قناعة؛ والقناعة لا توجد من ذاتها، بل ينبغي دائمًا إعادة اكتسابها جماعيًا.

٢٤، ب)- لأنَّ الإنسان يبقى حرًّا دائمًا، ولأنَّ حرِّيته هي أيضًا هشةٌ دائمًا، فإنَّ ملكوت الخير لن يوجد أبدًا بشكلٍ متماسكٍ ونهائيٍّ في هذا العالم. مَنْ يَعِدُّ بعالمٍ أفضل يدوم دون نهاية، يقطع وعدًا مزيفًا؛ لأنَّه يتجاهل الحرِّيَّةَ البشرية. فعلى الحرِّيَّة أن تُمتلِكَ دائمًا من جديد لأجل الخير. إنَّ الانضمام الحرَّ إلى الخير لا يوجدُ أبدًا ببساطةٍ من ذاته. لو كانت هناك بُنياتٌ قادرةٌ على تثبيت وضعٍ دائمٍ وصالحٍ للعالم لأصبحت حرِّيَّةُ الإنسان موضوعَ إنكار، ولهذا السبب، لن تكون أبدًا بُنياتٌ صالحة.

البابا بندكتُّس السادس عشر، (بالرجاء مخلصون))

نظرات خاطئة إلى الله ونظرات خاطئة إلى العالم

لماذا الأشخاص الذين خاب ظنهم من الإلحاد لا يتوجهون إلى المسيحيين؟

- لأنه لا يبدو على المسيحيين أنهم وجدوا السعادة في إيمانهم بالله؛
- لأنهم، وعلى كافة الأصعدة، لا يهتمون ولا يسارعون إلى الحديث عن إلههم. لقد سُمع أحد الصحفيين يتحدث عن هذه الكنيسة، مؤخرًا، بلهجة لا تخلو من حس الفكاهة القاسي، مُسميًا إياها ((كنيسة الصمت))؛
- وأخيرًا، لأن وجه الله الذي يُظهره المسيحيون من خلال تصرفاتهم ومن خلال كلامهم أحيانًا، ليس جذابًا البتة.

إلى وجه الله المزيف، يُشير بلا شك مُحررو الدستور الرعائي ((الكنيسة في عالم اليوم)) حين كتبوا هذه الجملة غير المنتظرة والقاسية: ((في أساس تكوين الإلحاد، ربّما كان للمؤمنين حصّة لا يُستهان بها...)) علينا جميعًا أن نقوم بفحصٍ ضميرٍ انطلاقًا من السؤال التالي: ألا يتعرّض الأشخاص الذين يروننا ويسمعوننا إلى الخطأ في حقيقة وجه الله؟ فيا أيها الآباء والأمّهات، بطرحكم هذا السؤال، فكّروا بنوعٍ خاص في الأولاد الذين عهد الله بهم إليكم.

وجوه الله الخاطئة:

إنَّ أحدَ وجوه الله الخاطئة هو بصورة خاصة غيرٍ محتملٍ من قِبَلِ مُعاصرينا: إنّه وجهُ الله المُنتقم من الناس لمخالفتهم النظام، سواءً كان النظام الأخلاقيّ أو المنطقيّ أو الاجتماعيّ.

- إلهُ النظام الأخلاقيّ

الإلهُ الأستاذ في علم الأخلاق، الذي يُراقب ويترصّد ويهدّد. الإلهُ السريع التأثير، الحقود، المنتقم... من هنا هذا القلق الذي ينخر ضمير العديد من المسيحيين، وحتى بعض أفضلهم، عندما لا ينتهي بهم الأمر بأن يُديروا ظهورهم لهذا ((الإله الخاصّ بالأبرار))، لهذا ((الأب السادي))، كما يسمّيه (فرويد) بفضاعة... لقد أعلن المسيح: ((ما جنّتُ لأدعو الأبرار، بل الخطاة)) (مت ٩: ١٣).

- إلهُ النظام المنطقيّ والعقليّ

هو إلهُ الفلاسفة؛ إلهٌ يُثبت وجوده العقل والمنطق، ويصِفان كمالته؛ إلهٌ هو حجرُ الزاوية في العمارات العقائديّة الكبيرة؛ إلهٌ باردٌ مثل فكرةٍ، مخيبٌ للأمال مثل نظامٍ... إلهٌ محاكم التفتيش وبدائلها، إلهُ التهديد والوعيد.

- إله النظام الاجتماعي

لا نعرف بالضبط ما إذا كان هذا الإله هو الذي عقد حلفًا مع السلطة أم إن السلطة هي التي تحالفت معه. في كل حال، هناك نوع من التواطؤ بين الاثنين: في الماضي: الإمبراطور، ثم الملك (المسيحي الصالح)، واليوم: الحكّام، والمالكون، والأغنياء... تُرى، كيف يستطيع المقهورون، الذين يفقدون الخبر والعمل والاعتبار والكرامة، أن يقبلوا بذلك؟

ألا تفكرون في أن مسيحيين وغير مسيحيين، وحتى أولادكم أنفسهم، ربّما استطاعوا غالبًا أن يتخيلوا بأن هذه أو تلك من الصور الكاريكاتورية تُمثّل وجه الله الحقيقي؟... صحيح أنه، في الجهة المقابلة، هناك مسيحيون آخرون - أو المسيحيون ذاتهم - يعرضون غالبًا، بأقوالهم أو بطريقتهم في العمل، ((إلهًا طيبًا)) مُطمئنًا. هل هذا الوجه الآخر لله أكثر جاذبيّة؟ هذا الإله الطيب القلب، الولد الصالح، الجدّ أكثر منه الأب الحقيقي. إنّ هذا الإله ((البديل المؤقت، بوليس الإسعاف، وكيل التأمين)) قد أسهم هو أيضًا وبسخاء في إحباط البشر وتشجيع الإلحاد...

الأمر الأكثر إزعاجًا بلا شك، والأكثر صدمًا للجيل الشاب، للإنسان الملحد أو المرشّح للإلحاد، هو الانفصام في حياة العديد من المسيحيين الطيبين، بين علاقتهم بالله وحياتهم الفعلية. إذا فاجأناهم مرّة واستمعنا إلى أحاديثهم، لا نجد إلا الكلام على الرفاهية والعطّل والإجازات والسيارات الحديثة (والهواتف واللوحات الذكيّة) ومحلّات الإقامة الثانويّة، وجميع ما يستتبعه ذلك من هموم ماليّة. هم يتناقشون حول آخر عمل فني، إباحي على الأرجح، أو حول آخر جائزة أدبيّة؛ إذ من الضروري أن يكون الإنسان مُطلّعًا! وينتقدون السياسيين والأهل والأصدقاء والكنيسة... فأين تأثير الله في كلّ ذلك؟

هل تفهمون الآن لماذا لا يخطر غالبًا على بال الأشخاص الذين يبحثون عن الحقيقة أن يتوجّهوا إلى المسيحيين؟ ولماذا أقرّ آباء المجمع الجملة الصغيرة التالية: ((في أساس تكوين الإلحاد، ربّما كان للمؤمنين حصّة لا يستهان بها...))

الأب هنري كافاريل، فرق السيّد في مواجهة الإلحاد، فرق السيّد، ص. ١٤٠

رابعًا - مسارات لواجب المجالسة

- من خلال كوننا زوجين، ما هي الصورة التي نقدّمها عن الله لأولادنا ولأقربائنا؟
- ما هو المكان الذي نخصّسه، داخل كياننا الزوجي، للدور الذي يتعيّن علينا أن نلعبه في العالم بوصفنا ((مُعاوني الله؟))

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- خلال الشهر المنصرم، ما كان تأثير الله في حياتنا؟

صلاة

«١٨ وأرى أنّ آلامَ الزّمنِ الحاضرِ لا تُعادلُ المجدَ الذي سيتجلى فينا. ١٩ فالخليفة تنتظرُ بفارغِ الصّبرِ تجلّيَ أبناءِ الله. ٢٠ فقد أُخضعتُ للباطلِ، لا طوعًا منها، بل بسُلطانِ الذي أخضعها، ومع ذلك لم تقطعِ الرّجاءَ، ٢١ لأنّها هي أيضًا ستحرّرُ من عبوديّةِ الفسادِ لِتُشاركَ أبناءَ الله في حرّيتهم ومجدهم. ٢٢ فإننا نعلمُ أنّ الخليفةَ جَمعاً تثنى إلى اليومِ من آلامِ المَخاضِ، ٢٣ وليست وحدها، بل نحنُ الذين لنا باكورةُ الرّوحِ نثنى في الباطنِ مُنتظرينَ التّبَيُّي، أي افتداءَ أجسادنا، ٢٤ لأننا في الرّجاءِ نلنا الخَلاصَ. فإذا شوهدَ ما يُرجى، لم يَكُن رَجاءَ، وما يُشاهدُه المرءُ فكيف يَرجوه أيضًا؟ ٢٥ ولكن إذا كُنّا نَرجو ما لا نُشاهدُه فبالثباتِ ننتظرُه.» (رو ٨: ١٨-٢٥)

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- هل ساعدنا الإصغاءُ إلى كلمة الله وإنارةُ الروح القدس على أن يكون لنا نظرةُ إيمانٍ إلى الآخرين وإلى العالم الذي نعيش فيه، وبماذا؟
- هل إنّ قاعدةَ الحياة التي اعتمدناها قد أسهمت في تنمية مسؤوليتنا كمسيحيين في العالم؟

تبادل الآراء حول موضوع الدرس - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاءُ إلى كلمة الله وإنارةُ الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- ماذا عن طاقتنا على تحويل العالم بعمَلنا وخلقِه انطلاقًا من عطية الله الأصليّة؟
- «إن لم يرافق التطوُّر التقنيّ تطوُّرٌ في تنشئة الإنسان الأخلاقية، فلن يكون هناك من تقدّم». ما هي الأفكار التي يستثيرها هذا القول فينا؟
- ما هي المواقف أو التصرفات الطبيعيّة، وفقًا للأب كافريل، التي تدفعنا إلى أن ننشر وجوهًا مزيّقة عن الله وأن نُؤلِّد حولنا إلحادًا معيّنًا؟

المزمور ٨٤ (٨٥)

٥ أَرْجِعْنَا يَا إِلَهَ خَلَاصِنَا، وَاصْرِفْ غَيْظَكَ عَنَّا.
٦ أَلَّا بُدَّ تَغَضُّبٍ عَلَيْنَا؟ أَلِيَّ جِيلٍ فَجِيلٍ تُطِيلُ غَضَبَكَ؟

٧ أَلَا تَعُودُ نُحْيِينَا فَيَفْرَحَ بِكَ شَعْبُكَ؟
٨ أَرْنَا يَا رَبَّ رَحْمَتَكَ، وَهَبْ لَنَا خَلَاصَكَ.

٩ إِنِّي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ اللَّهُ. لِأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامِ،
بِالسَّلَامِ لِشَعْبِهِ وَأَلْصَفِيَانِهِ فَلَا يَعُودُوا إِلَى الْحِمَاقَةِ.
١٠ قَرِيبٌ خَلَاصُهُ مِمَّنْ يَتَّقُونَهُ، لِيَجِلَّ الْمَجْدُ فِي أَرْضِنَا.

١١ الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ تَلَاقِيَا، الْبِرُّ وَالسَّلَامُ تَعَانِقَا.
١٢ مِنَ الْأَرْضِ نَبَتَ الْحَقُّ، وَمِنَ السَّمَاءِ تَطَلَّعَ الْبِرُّ.

١٣ إِنَّ الرَّبَّ يُعْطِي الْخَيْرَاتِ، وَأَرْضُنَا تُعْطِي ثَمَرَهَا.
١٤ أَمَامَهُ الْبِرُّ يَسِيرُ وَبِخَطَوَاتِهِ يَشُقُّ الطَّرِيقَ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع الثالث

بناء ((حضارة المحبة))

أولاً - كلمة الله

^{٢٧} فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم. ^{٢٨} وباركهم الله وقال لهم: ((انموا واكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها وتسلبوا على أسماك البحر وطيور السماء وكل حيوان يدب على الأرض)). (تك ١: ٢٧-٢٨)

^{١٨} وقال الرب الإله: ((لا يجب أن يكون الإنسان وحده، فلأصنعن له عونًا يناسبه)).

^٩ وجبل الرب الإله من الأرض جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، وأتى بها الإنسان ليرى ماذا يسميها. فكل ما سماه الإنسان من نفس حية فهو اسمه. ^{٢٠} فأطلق الإنسان أسماء على جميع البهائم وطيور السماء وجميع وحوش الحقول. وأما الإنسان فلم يجد لنفسه عونًا يناسبه. ^{٢١} وأوقع الرب الإله سبأ عميقًا على الإنسان فنام. فأخذ إحدى أضلعه وسد مكانها بلحم. ^{٢٢} وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة، فأتى بها الإنسان. ^{٢٣} فقال الإنسان: ((هذه المرّة هي عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تسمى امرأة لأنها من امرئ أخذت)) ^{٢٤} ولذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلزم امرأته، فيصيران جسدًا واحدًا.

(تك ٢: ١٨-٢٤)

في سفر التكوين روايتان للخلق.

الأولى حاسمة: تُعطي معنى لتاريخ البشرية من بدايته إلى نهايته. فالإنسان - ((ذكرًا وأنثى خلقهم)) - هو على صورة الله: فالحب الجاري في الله، يجري أيضًا بين الرجل والمرأة. كل شيء ينطلق من هذا الشبه في الحب. في نهاية الأزمنة، سوف يفتح هذا الحب، فنرى الله، ((ونصبح أشباهه)) (١ يو ٣: ٢). إن هدف العالم هو الحب.

الرواية الثانية أكثر وجودية لكنها تفترض وجود الأولى. إنها تركز على عزلة الإنسان. ((وجبل الرب الإله من الأرض جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، وأتى بها الإنسان ليرى ماذا يسميها.

٢٠ فأطلق الإنسانُ أسماءً على جميع البهائمِ وطُيورِ السماءِ وجميعِ وحوشِ الحُقُولِ)). سمّاها يعني امتلاكها، تسلّطَ عليها. غير أنّ ذلك لم يكن كافياً. فقدّم له المرأة. ها هو الحبُّ والشبّةُ بالله، إنّما ينبغي بناؤهما: لم يكن آدمٌ وحوّاءُ يعرفان بعضهما البعض، وكان عليهما أن يكتشف واحدهما الآخر. ثمّ إنّهما كانا مختلفين، متكاملين، وقد خلّقا الواحدُ للآخر. وأخيراً لاحظا الأمرَ الجوهريّ: أنّهما واحد. ((فَيَصِيرَانِ جَسَدًا وَاحِدًا)). رائعٌ وعظيمٌ هو طريق الحبِّ الزّوجي الموهوب من الله، وهو علامةُ حضارةِ الحبِّ الواجبِ بناؤها.

ثانياً - عرض الفصل

أمام الافتتان الذي تُمارسه تمثيلاتٌ مزيفةٌ للحبِّ، يبرز تمييز علامات الأزمنة على أنّها الشهادة لجمال الحبِّ البشري وفقاً لقصد الله.

إنّ المظهر الأوّل للحبِّ هو اكتشاف السعادة التي لم يكن يحلم بها الإنسان حتى ذلك الحين. نعم، إنّ السعادة تتبع من الحبِّ، لأنّ الإنسان، في قصد الله، قد خلّق للسعادة. إنّ عدم الاكتمال الذي أراد الله أن يستثينا منه في (تك ٢: ١٨): ((لا يجب أن يكون الإنسان وحده. فلأصنعن له عوناً يُناسبه)) قد كُشف حينئذ لنا. فالله، الذي خلّق الإنسان عن حُبِّ، قد دعاه أيضاً إلى الحُبِّ، إلى هذا النّوقِ الجوهريّ والفطريّ الموجود لدى كلّ كائنٍ بشريّ. ((إنّ الدعوة إلى الزواج منقوشة في طبيعة الرجل والمرأة كما خرّجا من يد الخالق)). (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، العدد ١٦٠٣). وفي الزواج، كما في كلّ من الأسرار الأخرى، ينطلق المسيح من حقيقة بشريّة لكي يصنّع منها حقيقةً مقدّسة. فيصبح الرجل والمرأة صورةً لاتّحاده بالكنيسة.

منذ اللحظة التي نُقرّر فيها إضفاء الديمومة على كياننا الزوجيّ، تفرّض الأمانةُ نفسها علينا، لا بمثابة واجبٍ إلزاميّ، بل كأساسٍ لمشروعٍ مختارٍ بحريّةٍ ومصدرٍ رجاءٍ للتعلّب على مَحَنِ الدهر. إنّ الرضا الذي يتبادلّه الزّوجان يُعبّر عن إرادتهما في ((إقامة عهد)). والسرُّ الفصحّي هو في قلب سرِّ الزواج: فالتنازلات والتضحيات والميتات الصغيرة ضروريّة للزّوجين لكي يُولّدا لحبِّ دائمٍ النموّ على صورة الحبِّ الذي يُكِنّه الله لنا. والمسيح، ينبوعُ النّعمة المرتبطة بسرِّ الزواج، يُرافقنا على مدى هذه المسيرة.

وإذا كان صحيحاً أنّ الله يريد أن يُحرّرنا من عدم الاكتمال، فإنّنا، مع ذلك، نختبر الوحدة التي، أبعد من أن تكون سلبية، نفتحنا على الملءِ والحبِّ. وهكذا، وبصورة تدريجيّة، يُدخلنا نَعْمُنَا اليوميّ، الواحدُ للآخر، في بُعدٍ جديدٍ من أبعاد الحبِّ، في ديناميكيّة تتجاوز مواردنا البشريّة البسيطة لكي تقودنا نحو الله.

ثالثاً - نصوصٌ للتفكير

الـ(نَحْنُ) الإلهيَّ يشكّل المِثالَ الأبديَّ للـ(نَحْنُ) البشريِّ

من الممكن، في ضوء العهد الجديد، استشفاف أنّ مثال الأسرة الأصيل ينبغي البحث عنه في الله ذاته، في سرّ حياته الثالوثيِّ. فالـ(نحن) الإلهيَّ هو المِثال الأزلّي للـ(نحن) البشريِّ، وقبل كل شيء للـ(نحن) المؤلف من الرّجل والمرأة، المخلوقين على صورة الله، كمثاله. إنّ أقوال سفر التكوين تتضمّن، في شأن الإنسان، الحقيقة التي تنطبق عليها تجربة البشر نفسها. الإنسان مولودٌ منذ ((البدء)) ذكراً وأنثى: وحياة المجموعة البشرية - في جماعاتها الصغيرة وفي مجتمعها كلّ - موسومةٌ بِسِمَةِ الثنائية الأصيلية هذه. فمنها ((ذكورة)) الأشخاص أو ((أنوثتهم))؛ ومنها أيضاً تكتسب كلّ جماعةٍ ميزتها وغناها في تكاملٍ أشخاصها. قد يكون في هذا مدلولٌ عبارة سفر التكوين: ((ذكراً وأنثى خلَقهم)) (تك ١: ٢٧).

منذ البدء، تُعدّ الأسرة التعبيرَ الأوّل والأساسيَّ عن طبيعة الإنسان الاجتماعية...

فالزواج، الزواج الأسراري، هو عهدٌ شخصين في الحب. والحب لا يمكن أن يتعمّق ويحفظ إلا بالحب الإلهي، هذا الحب الذي ((أفيض في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطي لنا)) (رو ٥: ٥).

يجثو الرسول بولس على رُكبه أمام الأب ويتوسّل إليه ((ليعطيكم أن تتأيدوا في القوّة بروحه في الإنسان الباطن)) (أف ٣ : ١٦)؟ ((فقوّة الإنسان الباطن)) هذه، ضروريّة في الحياة العيلىّة، ولا سيّما في أونة محنتها، أي عندما يُدعى الحب إلى التغلّب على المحنة الصعبة، ذلك الحب الذي عبّر عنه، في الطقس الليتورجيّ، عند تبادل الرضا، بالكلمات التالية: ((نّي أعد بأن أبقى على الأمانة... كلّ أيام حياتي))، هو مدعوٌ إلى أن يتخطّى محنةً صعبة...

بالسؤال ((هل أنتما مستعدّان؟)) تُذكّر الكنيسة الزوجين الجديدين بأنّهما، أمام قدرة الله الخالقة، مدعوّان إلى أن يصيرا والدّين، أي مُسهّمين مع الخالق في إعطاء الحياة. والإسهام مع الله في دعوة كائناتٍ بشريّة جديدة إلى الحياة يعني الاشتراك في نقل صورة الله ومثاله اللّذين يعكسهما كلّ ((مولودٍ من امرأة)).

يوحنا بولس الثاني، رسالة إلى الأسر - ١٩٩٤ سنة العائلة

الله يهتمُّ كثيراً بسعادة الإنسان

إنّ الله يهتمّ، بلا شكّ، اهتماماً بالغاً بأن يقوم كلّ كائنٍ بشريّ، خلال مسيرة تطوّره، باختبار السعادة. لأنّه يهّمه أن يذوق الإنسان السعادة؛ وليس أن يذوقها فحسب، بل أن يختبرها أيضاً وأن يؤمن بأنّها مُمكنة؛ وبالتالي، أن يرغب فيها ويسعى إليها. والله يهتمّ بذلك، ليس لأنّ هذا الإيمان بالسعادة يُسهّم بشكلٍ كبير في صحّة الجسد والنفوس - وأنّ فقدانها هو نوعٌ من الموت المُسبق - إنّما وبخاصّةٍ لأنّها تُوجّه الإنسان إليه... وبكلمة، إنّ حياة الله هي سعادة، وبالتالي، فالحياة الأبدية التي يعرضها الله على الإنسان هي، منذ الآن، تذوقٌ مُسبقٌ لهذه السعادة. ولكن، كيف يلتزم بهذه الديانة، ديانة السعادة، من لم يذوق طعم السعادة؟

هذا هو امتياز الحبِّ الرَّوَجِيِّ: أن يَفَجِّرَ هذا التوقُّ - الذي، لدى العديد من الكائنات، ليس، قبل الالتقاء بالحبِّ، إلاَّ جمرًا تحت الرماد! وهو شعور طارئٌ لدى الكثيرين. نأيدون هم الأزواج الذي يؤمنون بصوابية تعريف الزواج، المُقْتَرَح من قبل رئيس الأساقفة الأرثوذكسيِّ إنوسان بوريسوف: «الزواج هو ما تبقى من الفردوس على الأرض». هذا لا يمنع من أن يبقى هذا الاختبار، حتى ولو كان قصير الأمد، اختبارًا رئيسيًا. إنَّ كونَ هذا الاختبار هَشًّا وعابِرًا لا يعني أنه غيرٌ حقيقيٍّ...

تشرح أسباب كثيرة كونَ السعادة الرَّوَجِيَّة هَشَّةً وعابرة. فبعضُ الناس يخلطون بين السعادة واللذة، ويسعِّهم وراء اللذة يخسرون السعادة التي سبق لهم ذات يوم أن اكتشفوها واختبروها... وآخرون يبحثون فيها عن شيء مُطلق: فيدمِّرون بذلك السعادة والكائن المحبوب، بتطلُّبهم منهما ما هم عاجزون عن توفيره...

ولكن هناك، لحسنِ الحظِّ، الذين، بالنسبة إليهم، يبقى هذا الاختبار اختبارًا عظيمًا. لا شكَّ أن هذا الاختبار يفقد، مع مرور السنين، الكثيرَ من حيويته ونكهته الأوليين، ولكنَّ ذلك لمصلحة وضوح في الرؤية، ومزيد من العمق، وصلابة لا يستطيع الحبُّ في ربيعها أن يعرفها. هؤلاء يعلمون جيّدًا أنهم لم يتلقوا كنصيبٍ سعادةً مُطلقةً، لكنهم تعلموا أن يروا، في السعادة المنبثقة من حبِّهم، الوعدَ بسعادةٍ أخرى يلاحقونها معًا، وهم يعرفون منذ الآن طعمها المُسْبِق.

الأب هنري كافاريل، المحبس الذهبي، العدد 117-118

الزواج دعمٌ وحمايةٌ ضدَّ سرايات الهوى

إنَّ العمل المتبادل الذي يَستخدم به الزوجان هذا الحبِّ الرَّوَجِيِّ الخاص، في حقيقةٍ مُعاشة وليس كمجرد مشروعٍ مستقبليٍّ، هو ذاك الذي يُنشئ، بواسطتهما، مؤسسةً لا تنفصم عراها أمام الله وأمام المجتمع نفسه. إنَّ المؤسسة المولودة من فعلِ الحبِّ ومن الحبِّ الرَّوَجِيِّ تجد فيهما دعمًا وحمايةً ضدَّ سرايات الهوى العابرة. فالحبِّ الرَّوَجِيِّ الحقيقي لا تحدُّه أو تمنعه مؤسسة الزواج وهي لا تُعرِّض ديناميَّته للتعطيل أو المَحْدوديَّة أو الانغلاق... لن توجَدَ مؤسسة الزواج إذا لم يكن الحبِّ الرَّوَجِيِّ موجودًا وكلُّ منهما لا يمكنه أن يعطي ذاته بدون أن يُنتج الآخر.

هذا المظهرُ المُزدوج للحقيقة، المُعبَّر عنه في الكتاب المقدَّس بلفظة ((جسدٍ واحدٍ))، يمكن أن يَغتنِي وأن يتقدَّم باستمرار وفقًا لقوانين ديناميَّته الخاصَّة التي تقوم على إدخال الحياة اليوميَّة الشخصية في مستلزمات هذه العطية الأصليَّة... إنَّ اعتبار ديناميَّة الحياة الزوجيَّة كثمرة للحبِّ تُعَارِضُه قوانينُ الوحدة وعدم الانفصام، كما تعارِضُه الغائيات الملازمة للزواج... والقول بأنَّ الحبِّ الرَّوَجِيِّ في حدِّ ذاته لا يبالي بهذه الميزة أو بتلك من ميزاته، هو تشويةٌ للروح... وبصرف النظر عن الحبِّ الذي كان موجودًا في أثناء مرحلة الخطوبة، فإنَّ الزوجين هما الآن مُلزمان بأن يتحابَّا من خلال رباطٍ خاص. قبل ذلك، كان بوسعهما أن يكفَّا عن أن يُحبَّ واحدهما الآخر، أمَّا الآن، فإنَّ التزامهما بأن يَهَبَّ واحدهما نفسه للآخر

يُجبرهما على أن يُفَعِّلَا هِبَةً حياتهما الخاصة. هذه العطية المتبادلة التي بها صار القرينان زوجًا وزوجة، يجب أن تتأَوَّن طوال حياتهما من خلال براهين يومية على المودة ومن خلال أفعال الحب.

إنَّ المُمَارَسَةَ اليوميَّة للحبِّ الزَّوجيِّ المُعاش في العطاء والسَّخاء، إضافةً إلى كونها تعكس الحبَّ الموجود، تستطيع أن تُنمِّيَه وترفعه ليلبَّغ ملاءه. فإنَّ كان الزواج يفترض الحبَّ، فالحبُّ الزَّوجيُّ هو بدوره ثمرة الزواج، لأنَّ الحبَّ فيه ينبغي أن يكون نوعًا خاصًّا من الصداقة التي تحملنا على أن نتقاسم كلَّ شيء بسخاء، وبدون حسابٍ أنانيِّ. في هذا السياق تتدرج وحدة الزَّوجين الخاصة والنوعية التي هي علامةُ الحبِّ وأداةُ التطوُّر المُحتَمَل...

فرنسيسكو جيل هيلان، رئيس أساقفة بورغوس، والسكرتير السابق لمجلس العائلة الحبريِّ

رابعًا - مسارات لواجب المجالسة

- هل نحن من الأزواج الذين يفكرون مثل رئيس الأساقفة الأرثوذكسيِّ إنوسان بوريسوف أنَّ الزَّواج هو ((ما تبقى من الفردوس على الأرض))؟
- أية علاماتٍ يومية يُعطيها بعضنا لبعض لكي نأوَّن بلا انقطاعِ الهبة المتبادلة التي صرنا بها زوجًا وزوجة؟
- على مدى السَّنوات، ((هل اكتسب حُبنا من وضوح الرؤية والعمق والصلابة ما قد يكون فقده من الحيوية والبهجة))، كما يقول الأب كافاريل؟

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- الحبُّ الزَّوجيُّ ينبعُ العطاء والسَّخاء.

صلاة

٢٧ فخلق اللهُ الإنسانَ على صورته، على صورةِ اللهِ خلقه، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ٢٨ وباركهم اللهُ وقال لهم: ((انموا واكثروا وأملأوا الأرضَ وأخضعوها وتسلطوا على أسماكِ البحرِ وطيورِ السماءِ وكلِّ حيوانٍ يدبُّ على الأرض)). (تك ١: ٢٧-٢٨)

١٨ وقال الربُّ الإله: ((لا يجب أن يكون الإنسان وحده، فلأصنعنَّ له عونًا يُناسبه)).

١٩ وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنَ الْأَرْضِ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْحُقُولِ وَجَمِيعَ طُيُورِ السَّمَاءِ، وَأَتَى بِهَا الْإِنْسَانَ لِيَرَى مَاذَا يُسَمِّيهَا. فَكُلُّ مَا سَمَّاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهُ. ٢٠ فَأَطْلَقَ الْإِنْسَانُ أَسْمَاءً عَلَى جَمِيعِ الْبِهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ وَحُوشِ الْحُقُولِ. وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ عَوْنًا يُنَاسِبُهُ. ٢١ وَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ سُبَاتًا عَمِيقًا عَلَى الْإِنْسَانِ فَنَامَ. فَأَخَذَ إِحْدَى أَضْلَاعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِلَحْمٍ. ٢٢ وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهَ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْإِنْسَانِ امْرَأَةً، فَأَتَى بِهَا الْإِنْسَانَ. ٢٣ فَقَالَ الْإِنْسَانُ: ((هَذِهِ الْمَرْءَ هِيَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُسَمَّى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ إِمْرِي أَخَذْتُ)) ٢٤ وَلِذَلِكَ يَتْرَكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَيَلْزَمُ امْرَأَتَهُ، فَيَصِيرَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.

(تك ٢: ١٨-٢٤)

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة ؟
- هل تُحَدُّ مؤسَّسة الزواج أو تمنع الحبَّ الزوجي الحقيقي فتعرض ديناميَّته للتعطيل أو المحدودية أو الانغلاق؟
- ما رأيك في القول إنَّه لا يمكن اعتبار الأمانة بين الزوجين نوعًا من الإكراه، بل هي كإرادة في تأسيس مشروع حياة يندرج في إطار الديمومة ؟
- هل توافق الأب كافاريل في قوله إنَّ الحبَّ الزوجي هو وعدٌ بسعادةٍ من نوع آخر؟

المزمور ١٢٥ (١٢٦)

حِينَ رَدَّ الرَّبُّ أَسْرَى صِهْيُونِ كُنَّا كَالْحَالِمِينَ
 ٢ حِينَئِذٍ امْتَلَأَتْ أَفْوَاهُنَا ضَحِكًا وَأَلْسِنَتُنَا تَهْلِيلًا.
 حِينَئِذٍ قِيلَ فِي الْأُمَمِ: ((إِنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ الصَّنِيعَ إِلَيْهِمْ)).
 ٣ إِنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ الصَّنِيعَ إِلَيْنَا فَصِرْنَا فَرِحِينَ.
 ٤ أَرُدُّ يَا رَبُّ أَسْرَانَا مِثْلَ السُّيُولِ فِي النَّقَبِ.
 ٥ الَّذِينَ بِالذَّمُوعِ يَزْرَعُونَ، بِالتَّهْلِيلِ يَحْصُدُونَ.
 ٦ يَنْطَلِقُ فَيَسِيرُ بَاكِيًا وَهُوَ يَحْمِلُ الْبَدْرَ
 يَعُودُ فَيَأْتِي مُهْلِلًا وَهُوَ يَحْمِلُ حُرْمَهُ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع الرابع

احترام الشخص البشري

أولاً - كلمة الله

«تَشَدَّدْ وَقُمْ فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ».

«^{٤٦} ووصلوا إلى أريحا. وبينما هو خارج من أريحا، ومعه تلاميذه وجمع كثير، كان ابن طيماؤس (برطيماؤس)، وهو شحاذ أعمى، جالساً على جانب الطريق. ^{٤٧} فلما سمع بأنه يسوع الناصري، أخذ يصيح: (رُحْمَاكَ، يا ابن داود، يا يسوع!) ^{٤٨} فانتهره أناس كثيرون ليسكت، فصاح أشد الصياح: (رُحْمَاكَ، يا ابن داود!). ^{٤٩} فوقف يسوع وقال: (أدعوه). فدعوا الأعمى قالوا له: (تَشَدَّدْ وَقُمْ فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ). ^{٥٠} فألقى عنه رداءه ووثب وجاء إلى يسوع. ^{٥١} فقال له يسوع: (ماذا تريد أن أصنع لك؟) قال له الأعمى: (رابوني، أن أبصر). ^{٥٢} فقال له يسوع: (إيمانك خلصك). فأبصر من وقته وتبعه في الطريق.» (مر ١٠: ٤٦-٥٢)

برطيماؤس معروف ومشهور. وله شخصية قوية. هو أعمى وشحاذ، وقد شفاه يسوع بعد أن لاحظ إيمانه. بدايةً، وفي أول فعل إيمان، سمع بأن يسوع ماراً من هناك. وفي الحال، أخذ يصرخ إليه: (رُحْمَاكَ، يا ابن داود!). كان متأكدًا من يسوع ومن أنه ابن داود. فعل إيمانه الثاني: بالرغم من أن أناسًا كثيرين انتهره وحاولوا إسكاته، فإنه ازداد صراخًا. فانتهره من قبل الناس لم يوقفه عن الصراخ ولم يثنه عن طلبه. لقد تخطى إيمانه كل المحن. فعل الإيمان الثالث: دعاه يسوع بواسطة هؤلاء الناس الذين كانوا يزجرونه وينتهرونه. وفي الحال، ألقى عنه رداءه ووثب أتيا إلى يسوع. فعل الإيمان الرابع: ها هو يسوع يستدعي حرية برطيماؤس: (ماذا تريد أن أصنع لك؟). لم يتردد هذا الأعمى في أن يؤكد طلبه: (رابوني (أي: يا رب)، أن أبصر). يا له من حوار غريب! كثيرون بيننا لا يعرفون ما هو مرضهم. وأخز فعل إيمان: ما إن استعاد هذا الأعمى بصره حتى تبع المسيح في الطريق، وصار تلميذه.

لقد شفى يسوع برطيماؤس واضعاً في النور إيمانه كله. فأصبح هذا الرجل رمزاً لمسيرتنا كلها. احترام يسوع لكل واحدٍ منا. احترام المسيحي لطرق البشر المتنوعة جداً: يجب علينا أن نضع في النور البحث عن الحقيقة الذي يختط له طريقاً في هذا العالم.

ثانياً - عرض الفصل

إنّ تمييز علامات الأزمنة هو ملاحظةٌ وتحليلٌ لمخاطر إزالة الصفة الإنسانية عن مجتمعاتنا بهدف مُحاربتِها بشكل أفضل في ضوء الإنجيل.

في مجتمعاتٍ قديمة عديدة، لم يكن الإنسان، بصفته هذه، مُحترماً بشكلٍ مننظم. كان المواطنُ هو المُعترفُ به وليس الإنسان (وكان تحرير العبد يهدف إلى هذا الاعتراف...). لقد أهدت المسيحية تغييراً في النظرة.

(فإنكم جميعاً، وقد اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح: ٢٨ فليس هناك يهودي ولا يوناني، وليس هناك عبداً أو حراً، وليس هناك ذكرٌ وأنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع) (غل ٣: ٢٧-٢٨). لقد أرسل الله ابنه فيما بيننا لكي يُعلمنا، بكلامه ومثله حياته، احترام الحياة البشرية.

فإن يؤسس المرء حياته على هذا الحب المطلق للآخر المخلوق على صورة الله، كان دائماً موضوع صراع للإنسان. أما التقدّمات والتراجعات فهي أمورٌ مُلازمة لطبيعته غير الكاملة.

هنا يأخذ التمييز الفردي، المستعين بالروح القدس، والمستنير بالكتب المقدسة وتعاليم الكنيسة، كل معناه. فهذا العمل التمييزي يتم في ضمير كل إنسان، أي في ((حزم)) كل قرار أخلاقي.

واليوم أيضاً، إن الإنسان، الذي يواجه التعقيدات المتزايدة للتطورات، لا البيولوجية فحسب، بل الاقتصادية والسياسية في العالم أيضاً، مدعو إلى السهر على أن تبقى التقدّمات المرافقة لمسيرة كل مجتمع، متوافقة مع احترام الشخص البشري. إن هبة الحياة التي أكلها الله للإنسان تفرض عليه أن يعي قيمته التي لا تُقدّر بثمن وأن يتحمل ما يرتب عليه ذلك من مسؤولية. لا نرضخ للشعور بالعجز، بل، وكما يدعونا إليه البابا فرنسيس في رسالته العامة ((فرح الإنجيل)): ((... إن التحديات وُجدت من أجل أن تُرفع. فلنكن واقعيين، إنّما من دون أن نفقد الفرح والتفاني والجرأة المفعمة بالرجاء...)).

ثالثاً - نصوص للتفكير

فلنمّع بشريتنا من أن تكون غير إنسانية

يحدّرنا يسوع لكي ((نميز علامات الأزمنة)) (راجع لو ١٢: ٥٤-٥٦)، أي لكي نقوم بجهد عقلي ومنطقي لفهم الأزمنة الحالية بدلاً من نخضع لها، ولكي، بفهمنا إياها، نقيس مسؤولياتنا، إن كنا نؤمن بأن كلمة الله يجب أن تتدرج في جسد بشريتنا لمنعها من أن تصير غير إنسانية... ففي جميع الأزمنة، وبالتالي في هذه الأزمنة المتغيرة في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، نحن مدعوون إلى القيام بعملٍ تمييزي ذكي.

... لا شك بأننا نستطيع تشخيص أزمة عقلانية، أدواتية وحسابية، أزمة تتلاعب بالأرقام والكميات ولديها أحياناً ميلٌ إلى معاملة الشخص البشري بحسب العقليات الشرسة والعنيدة - وإن كانت لا تخلو من المشروعية - عقليات الانتاجية والمنافسة.

إنها صرخة القلب، بقدر ما هي صرخة العقل، تلك التي نسمعها من جميع الجهات: ((أوقفوا جميع أشكال الهروب إلى الأمام التي تسحق النشاط البشري! إن كرامة الشخص البشري، هي التي يجب إعادة الاعتبار إليها حقاً وبكافة الأشكال! وهذا ينطبق على الجنين في أحشاء أمه كما على الشخص المُسنّ أو المريض في نهاية حياته، كما على هؤلاء الرجال والنساء المُهدّدين بالتلاعب بهم كأنهم أشياء أو بياض، تبعاً للمتطلبات الحصرية للانتاجية التقنية أو لقوانين السوق التي لا تخضع لأية رقابة)).

... المطلوب منا هو أن نشارك، بمواردنا الخاصة، في هذا الصراع الدائم من أجل احترام الشخص البشري، من أجل ممارسة حازمة للتضامن وأيضاً من أجل تطوّر متجذّر ومستدام. هذا الصراع، حتى ولو كان يُلزمُ خاصيتنا كتلاميذ المسيح، لا يمكنه أن يضمننا إلى جميع الذين يرفضون، بوعي أو بغير وعي، ازدياد المهانين والمتروكين على حافة الطريق، والتلاعب بالخوف، في وجه جميع التهديدات الآتية من الخارج، حتى ولو كانت وهمية.

فمن داخل إيماننا المسيحي بإله العهد والخلاص، نحن نشارك في النقاش السياسي الحالي... وإذا كان هناك من أزمة عقلانية، فمن مسؤوليتنا إعادة الاعتبار للمنطق السياسي الذي يتساءل عن الخيار الواجب اتخاذه من أجل تشجيع الخير المشترك، وهذا يعني كلّ ما يمنع التجزئات والانطواءات وكل ما يوقر أفعال الثقة والتضامن، حتى في قلب تفتتات مجتمعنا.

المونسنيور كلود داغنس، أسقف أنغوليم، من الأكاديمية الفرنسية،

(كاثوليك وحاضرون في المجتمع الفرنسي، الإيمان بالله والديموقراطية، منشورات بايار، نيسان ٢٠١٢)

احترام الكرامة البشرية هدف كل مجتمع مسيحي

في الحقيقة، ترتبط قيمة الإنسان بما هو، وليس بما له أو بما يفعله. إنه يستحق الحب والاحترام نتيجة ما يعيشه وليس ما يمتلكه. فكرامته مرتبطةً تحديداً بكونه شخصاً. وعليه فإنّ كلّ إنسان، طالما هو حيّ، يحتفظ دائماً بشرفه وكرامته؛ حتى ولو كان فقيراً أو عاجزاً، وحتى وإن كان يرتكب أخطاءً أو كان مجرماً. إنّ الشخص البشري لا يفقد أبداً كرامته الأصلية، ولا يقدرُ أحدٌ أن ينتزعها منه. فالإنسان يبقى على الدوام مبدأ المجتمع المدني وغايته. وهذا المجتمع هو السبب الذي من أجله - كما يوضح المجمع الفاتيكاني الثاني: (يتفق المؤمنون مع غير المؤمنين على أنه: يجب أن يؤول كل شيء على هذه الأرض إلى الإنسان باعتباره مرجع كل شيء وذروته) (الدستور الرعائي (الكنيسة في عالم اليوم))، العدد ١٢).

المجتمع هو جماعة أشخاص في علاقةٍ بعضها مع بعض، وليس قطيعاً من أفراد غير معروفين يقفون الواحد بجانب الآخر وكلٌّ منهم لا يفكر إلا في نفسه. فبدون مسؤوليّة اجتماعيّة، ما من حرّيّة شخصيّة. الخير المشترك ليس مجموع الخيور الفردية، لكنّه خير الجميع وخير كلّ واحدٍ بمفرده. (إنّ الميزة الاجتماعية التي يميّز بها الإنسان تُظهر أنّ هناك ارتباطاً بين انطلاقة الشخص وتقدّم المجتمع. فالشخص الإنسانيّ، بطبيعته نفسها، لديه حاجةٌ ماسّة إلى حياةٍ اجتماعيّة، ومن ثمّ، يجب أن يكون قاعدة كلّ المنظّمات وموضوعها وغايتها. فالحياة الاجتماعية ليست للإنسان شيئاً مضافاً: فالتبادل والحوار مع إخوته البشر والخدمات التي يؤدّيها الواحدٌ للآخر، يَنمو الإنسان وفقاً لكلّ طاقاته ويستطيع أن يجيب على دعوته.)) (الدستور الرعائيّ (الكنيسة في عالم اليوم))، العدد ٢٥). إنّ دور المسيحيين هو، مرّةً أخرى، دورٌ حاسمٌ. فالوحي المسيحيّ يأتي هنا أيضاً للمساعدة. التضامن أمرٌ ضروريّ، إلا أنّ الشرعيّة الصرف غير كافية في حدّ ذاتها. استناداً إلى هذه العدالة الموهومة (التاريخيّة مثلاً أو الطبقيّة) يُقضى أحياناً على الإنسان ويُقتل ويُسلَبُ حرّيته ويُجرّد من حقوقه الإنسانيّة الأوليّة. هذا، ويُعلّم الاختبار، ماضياً وحاضراً، أنّ العدالة وحدها لا تكفي، إنّ لم يُفسح في المجال لفضيلة أخرى هي المحبّة لتكثيف الحياة البشريّة على اختلاف وجوهها.)) (يوحنا بولس الثاني: (الغني بالمراحم)) (١٩٨٠)، العدد ١٢).

برتولوميو سورجي، روما، ٢٢/١/٢٠٠٩، الاجتماع الدولي الثاني لمسؤولي المناطق في فِرَق السيّدة

إهانة كرامة الشخص البشري هي إهانة لله

إنّ العبادة والانضمام إلى الله يرتبطان، نتيجةً للخلق، باحترام الإنسان، صورة الله الذي جعل الإنسان شريكاً له ومسؤولاً معه عن حياته الخاصّة وحياة الآخرين، وعن الحقائق الكونيّة والبيئيّة. فاحترام حرّيّة ضمير كلّ إنسان، الذي يفترض، قبل أيّ شيءٍ آخر، احترام الحرّيّة الدينيّة، وفي الوقت نفسه، رفض كلّ عنفٍ، هو أمرٌ لا ينفصل عن هذا المفهوم. ويبدو لي، بالتالي، أنّ طبيعة الواقع الدينيّ نفسها بوجهٍ عام، والواقع المسيحيّ والكاثوليكي بوجهٍ خاصّ، تفرض ثلاثة مقتضيات جوهرية وأوليّة للوصول إلى علاقة صحيحة وسليمة بين الإيمان والقانون.

أولاً، المقتضى الأنثروبولوجي (المتعلّق بعلم الإنسان)، يعني مقتضى مفهوم للإنسان يستدعي احترام كرامة كلّ شخصٍ بشريّ. فمن جهة، إنّ الإهانة الموجّهة إلى كرامة الإنسان، حتى ولو كان الدافع إليها جسّ دينيّ سيئ التفسير، هي إهانة لله؛ ومن جهةٍ أخرى، إنّ الإكرام المقدم لله يجب أن يتجسّد في احترام وإكرام الإنسان المخلوق على صورة الله كمثاله. بالطبع، إنّ احترام الإنسان يجب ألاّ يُفهم بمعنى مقلّص، أي كاحترام لضميره فقط، بل أيضاً وأولاً، كاحترام لحياته منذ لحظة وجودها الأولى، باعتبارها أساس جميع الخيور البشريّة الأخرى.

المقتضى الثاني هو من نطاق إبيستيمولوجي (متعلق بفلسفة العلوم): فالإيمان يجب ألا يتعارض مع البحث العلمي والعقلي، بل يجب أن يُعَيَّن معنى هذا البحث بالذات في إطار غايات الإنسان وفي الاحترام لكرامته. وبطريقة مماثلة، يجب أن يحترم العلم الدور الخاص للإيمان وتحقيق القيم الإنسانية الملازمة لكرامة الإنسان السامية. إن تجاهل القيم الخاصة بالبُعد الروحي والأخلاقي للشخص البشري هو معاكس لتناغم المعرفة، وهو يشكّل مظهرًا للأصولية وعدم التسامح أكثر منه مظهرًا للعلمانية. فالعلمانية الحقيقية، بالفعل، تحترم وتحسب حسابًا للتعددية ولتناغم المعارف والقيم.

المقتضى الثالث هو مبدأ قبول النظام الديمقراطي. إن الحق بالحرية المسؤولة لكلِّ كائن بشري يجب أن يكون مضمونًا، في مناخ من الحوار والافتتاح، مع توفير إمكانية عدم الاتّفاق حينما تكون القيم الأخلاقية الجوهرية هي المطروحة. ينبغي أيضًا أن نوضح هنا أنّ النظام الديمقراطي تحديدًا، وبصفته هذه، هو الذي، بالنسبة إلى الدولة، يستلزم الدفاع عن حياة كلِّ إنسان وخلق الظروف الملائمة لتطوُّر كلِّ إنسان في إطار العدالة والتضامن.

إليو سغريسيا، عضو في المجلس الحبري للعائلة

رابعًا - مسارات لواجب المجالسة

- هل إنَّ احترام الآخر (الزوج والأولاد) حاضرٌ حضورًا كافيًا في قلب أُسرتنا (كزوجين وكعائلة)؟ وكيف يَظهرُ؟
- قد يقتصر الحبُّ أحيانًا كثيرة على إرادة امتلاك الآخر. هل الأمر هو على هذا النحو في أُسرتنا (كزوجين وكعائلة)؟ وكيف نتخطى هذه الصعوبة؟

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- ما هي الأوضاع التي عشناها هذا الشهر والتي قادتنا، كما يدعو إليه المونسنيور داغنس، إلى ((إعادة الاعتبار لكرامة الشخص البشري))؟

الصلاة

« ٤٦ ووصلوا إلى أريحا. وبينما هو خارج من أريحا، ومعه تلاميذه وجمع كثير، كان ابن طيماؤس (برطيماؤس)، وهو شحاذ أعمى، جالساً على جانب الطريق. ٤٧ فلما سمع بأنه يسوع الناصري، أخذ يصيح: (رحمك، يا ابن داود، يا يسوع!) ٤٨ فانتهره أناس كثيرون ليسكت، فصاح أشد الصياح: (رحمك، يا ابن داود!). ٤٩ فوقف يسوع وقال: (أدعوه). فدعوا الأعمى قالوا له: (تشدد وقم فإنه يدعوك). ٥٠ فألقى عنه رداءه وثب وجاء إلى يسوع. ٥١ فقال له يسوع: (ماذا تريد أن أصنع لك؟) قال له الأعمى: (رائوني، أن أبصر). ٥٢ فقال له يسوع: (إذهب! إيمانك خلصك). فأبصر من وقته وتبعه في الطريق.)) (مر ١٠: ٤٦-٥٢)

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- هل تشكّل نقاط الجهد الملموسة عوناً لنا لكي نتبع بشكل أفضل المسيح الذي يعلمنا أن تكون نظرنا تقربنا نظرة متجددة، نظرة تتطلب منا التخلص من التركيز على ذواتنا؟
- هل نعيش نقاط الجهد الملموسة كواجبات لها طابع إكراهي أم كعون لنا لكي نصير كل يوم أكثر إنسانية؟

تبادل الآراء حول موضوع الدرس - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- هل نشعر بمسؤوليتنا كمسيحيين ملتزمين في مواجهة الاعتداءات على الكرامة البشرية؟ ما هي الطريقة التي نراها مناسبة للرد على ذلك؟
- يفكر جان فانديه أننا (غالباً ما نخطئ، في مجتمعاتنا، بين الخير والنجاح). ألا يقودنا ذلك أحياناً إلى أن ننظر للآخر لما يمثله وليس لما هو، وإلى أن نأخذ الآخر لا كغاية بل كوسيلة...؟

المزمور ١٣٨ (١٣٩)

- ١ يا رَبِّ قَدْ سَبَّرْتَنِي فَعَرَفْتَنِي
٢ عَرَفْتُ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَطِنْتَ مِنْ بَعِيدٍ لِأَفْكَارِي
٣ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِي وَسَكِّنَاتِي وَأَلْفْتَ جَمِيعَ طَرَقِي.
٤ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى لِسَانِي أَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ.
٥ مِنْ وَرَاءِ وَمِنْ قُدَّامِ طَوَقْتَنِي وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ.
٦ عِلْمٌ عَجِيبٌ فَوْقَ طَاقَتِي أَرْفَعُ مِنْ أَنْ أُدْرِكَهُ.
٧ أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَأَيْنَ أَهْرُبُ مِنْ وَجْهِكَ؟
٨ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ أَضْجَعْتُ فِي مَثْوَى الْأَمْوَاتِ فَأَنْتَ حَاضِرٌ.
٩ إِنْ أَتَخَذْتُ أَجْنَحَةَ الْفَجْرِ وَسَكَنْتُ أَقَاصِي الْبَحْرِ
١٠ فَهُنَاكَ أَيْضًا يَدُكَ تَهْدِينِي وَيَمِينُكَ تُسَكِّنُنِي.
١١ وَإِنْ قُلْتُ: «لَتُعْطِنِي الظُّلْمَةُ وَلِيَكُنَّ اللَّيْلُ نَارًا حَوْلِي»
١٢ حَتَّى الظُّلْمَةُ لَيْسَتْ ظُلْمَةً عِنْدَكَ وَاللَّيْلُ يُضِيءُ كَالنَّهَارِ.
١٣ أَنْتَ الَّذِي كَوَّنَ كُلِّيَّتِي وَنَسَجَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.
١٤ أَحْمَدُكَ لِأَنَّكَ أَعْجَزْتَ فَأَدْهَشْتَ. عَجِيبَةٌ أَعْمَالُكَ. نَفْسِي أَنْتَ تَعْرِفُهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ
١٥ لَمْ تَخْفَ عِظَامِي عَلَيْكَ حِينَ صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَطُرِّزْتُ فِي أَسَافِلِ الْأَرْضِ.
١٦ رَأَيْتَنِي عَيْنَاكَ جَنِينًا وَفِي سَفْرِكَ كُتِبْتَ جَمِيعُ الْأَيَّامِ وَصُوِّرْتَ قَبْلَ أَنْ تَوْجَدَ.
١٧ أَللَّهُمَّ مَا أَصْعَبَ أَفْكَارَكَ عَلَيَّ وَمَا أَكْثَرَ مَجْمُوعَهَا!
١٨ أَعْدُهَا فَتَزِيدُ عَلَى الرِّمَالِ وَإِذَا أَسْتَيْقِظْتُ لَا أَزَالُ مَعَكَ...
٢٣ أَللَّهُمَّ اسْبِرْنِي وَاعْرِفْ قَلْبِي، اِمْتَحِنِّي وَاعْرِفْ هُمُومِي
٢٤ وَانظُرْ هَلْ مِنْ سَبِيلٍ سَوْءٍ فِيَّ، وَاهْدِنِي سَبِيلَ الْأَبَدِ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع الخامس

احترام الشخص البشري

أولاً - كلمة الله

((ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله!))

^{١٨}وسأله أحد الوجهاء: ((أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟))^{١٩} فأجابهُ يسوع: ((لماذا تدعوني صالحاً؟ لا صالح إلا الله وحده. ^{٢٠} أنت تعرف الوصايا: لا تزني، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك)).^{٢١} فقال الرجل: ((من أيام صباي عملت بهذه الوصايا كلها)).^{٢٢} فلما سمع يسوع كلامه هذا، قال له: ((يُعوزك شيء واحد، بَع كُل ما تملك ووزع ثمنه على الفقراء، فيكون لك كنز في السموات، وتعال أتبعني)).^{٢٣} فحزن الرجل عندما سمع هذا الكلام، لأنه كان غنياً جداً.^{٢٤} ورأى يسوع أنه حزن، فقال: ((ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله! ^{٢٥} فمرور الجمل في ثقب الإبرة أسهل من دخول الغني إلى ملكوت الله)).^{٢٦} فقال السامعون: ((من يمكنه أن يخلص، إذا؟))^{٢٧} فأجاب يسوع: ((ما لا يمكن عند الناس، ممكن عند الله)).

(لو ١٨: ١٨-٢٧)

مأساة ودعوة إلى الرجاء

مأساة! والبداية جيدة. سؤال جوهري: ((ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟)) فيجيب يسوع بالدعوة الشاملة إلى القداسة: إن حفظ الوصايا هو الطريق الملكية للحياة مع الله. إلحاح الرجل الوجيه (هو شاب في إنجيل مرقس) مؤثّر جداً. فهو قد حفظ الوصايا كلها منذ صباه، لكنه يريد أكثر. في الحقيقة، بوسعه أن يصير تلميذاً باهراً ليسوع، فيجتذب للرب بوعظه كثيراً من الناس. وبعد أن عرض يسوع على هذا الرجل الدعوة العامة (إلى حفظ الوصايا)، ها هو يعرض عليه دعوة خاصة: الفقر، واتباعه. لكن المأساة تكمن في أن ثروة هذا الرجل تمنعه من تلبية دعوة الرب. فالغنى الأرضي يلمسه عن قرب، أما كنز السماء فلا يلمسه إلا من بعيد جداً.

بوسع كل إنسان أن يقرأ حياته مجدداً...، أو أن يتذكر الذين يبتعدون عن الله. ترى، هل إن المثل الأعلى عالٍ جداً؟ ((من يقدر أن يخلص؟)) هنا تأتي الدعوة إلى الرجاء. يقول يسوع لتلاميذه -الذين تركوا كل

شيءٍ ليتبعوه- والذين يحزنون معه لرؤيتهم الرجل الغني يمضي حزينا: ((ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله!)). عبارة صاعقة! لسنا أمام مثل أعلى لا يمكن الوصول إليه بل أمام دعوة من الله الذي يمنحنا كل شيء من أجل أن نستطيع اتباعه إلى النهاية.

ثانياً - عرض الفصل

تمييز علامات الأزمنة هو الاعتراف بالفقير كصاحب دور حقيقي في المجتمع.

تطوّرت النظرة إلى الفقر عبر الأجيال. في نهاية العصور الوسطى، أدى بروز المال كوسيلة لقياس الثروة إلى نوع من التفرقة تجاه الفقير في المجتمع. وبصورة تدريجية، صار يُنظر إلى الفقراء كأناسٍ مُزعجين. وقد أنزلهم القرن التاسع عشر إلى منزلة المحتاجين إلى المساعدة. فالذي يُعطي هو أرفع مكانة من الذي يأخذ، والمحبة أو الإحسان يُعبّر عنهما أساساً بسيطرة الغني على الفقير. كان القديس أوغسطينس قد كشف بطريقة جازمة عن دوافعنا العميقة في هذا الشأن، قال: ((حين تُؤدّي خدمةً لمسكين، قد تكون تريد أن ترتفع في عينيه، أو أن يصير مديناً لك، في حين إنّ شخصه هو في أساس عمل الخير الذي قمت به. لقد كان في حاجة، وأنت أعطيتَه قسماً من خيراتك: فلأنك أنت المُعطي، فأنت تبدو أرفع شأنًا من الشخص الذي أعطيتَه)).

إلا أننا، في هذا الوضع، لا نستطيع أن ننسى المسيحيين العديدين الذين سَعوا إلى الشهادة لمحبة الله: القديس منصور دي بول، القديس جان-بابتيست دو لاسال، القديس شارل بوروميه، القديس أنطونيوس البدواني، القديس مارتان دو بوريس، مستشفيات أوتيل ديو، الجمعيات الدينية العديدة...

إنّ تقاوم الأزمنة الاقتصادية الدولية الحديثة يُعطي موضوع الفقر حِدَّةً جديدة، كما أنّ مجتمع المعلومات يُتيح في الوقت نفسه رؤية أكثر وضوحاً. إنّ الحركات الاجتماعية العابرة للدول، والمُعَلِّقين على الإنترنت (les Blogueurs)، والساخطين (les Indignés)، بقضهم طابع المظالم الاجتماعية الذي لا يُحتمل، يُشاركون بشكلٍ واسع في هذه الرؤية، ويسمحون ببروز نظرة جديدة تجاه الفقير. فالاهتمام بالبحث عن الشخص، ما بعد المظهر، وبالعامل مع الفقراء وليس للفقراء، والاعتراف بهم كأصحاب دور حقيقيين في المجتمع، يظهر اليوم كمُعطى لا يمكن تغاديه من أجل إعادة خلق النسيج الاجتماعي. وكما يقول جان-ماري بلو، كاهن الرسالات الأجنبية: ((إنّ الوحي المسيحي لا يتم من الأعلى بل من الأسفل؛ وليس بالقدرة إنّما بالضعف المُتقاسم؛ وليس بالسيطرة وإنّما بالخدمة.)) *

* (جان-ماري بلو، العمل والمقاومة كمسيحيين، منشورات المشغل)

ثالثاً - نصوص للتفكير

أَنْ نَرَى وَنُفَكِّرَ وَنَعْمَلَ فِي الْعَالَمِ تَبَعًا لِمَا هُوَ هَشٌّ أَوْ سَرِيعُ الْعَطْبِ...

((حَطَّ الْمُقْتَدِرِينَ عَنِ الْكِرَاسِيِّ، وَرَفَعَ الْمُتَوَاضِعِينَ...))

مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا ثَوْرِيًّا كَهَذَا؟ إِنَّ الْعِلَاقَةَ بَدِيهِيَّةً وَاضِحَةً بَيْنَ مَا قَالَتْهُ مَرْيَمُ الْعِزْرَاءُ فِي نَشِيدِ التَّعْظِيمِ وَالشُّكْرِ بِحَسَبِ إِنْجِيلِ لُوقَا (لُو ١: ٤٦-٥٥) الَّذِي يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ انْقِلَابًا حَقِيقِيًّا لِلْقِيَمِ، وَمَوْقِفِ يَسُوعَ الَّذِي كَانَ يِلَاقِي جَمِيعَ الَّذِينَ وَاللُّوَاتِي كَانُوا فِي أَسْفَلِ دَرَجَاتِ السَّلْمِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي زَمَنِهِ. فِي الْوَاقِعِ، لَمْ يَكُنْ فِي أَعْمَالِ يَسُوعَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدَمَ يَهُودَ عَصْرِهِ سِوَى أَنْ تَصَرَّفَهُ كَانَ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى التَّمَرُّدِ عَلَى حَوَاجِزِ الطَّهَارَةِ وَالنَّجَاسَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا هَوِيَّةُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ وَمَقَاوِمَتُهُ لِلتَّأَثِيرَاتِ الْخَارِجِيَّةِ: سِوَا مَا كَانَتْ تَأَثِيرَاتِ الثَّقَافَةِ الْيُونَانِيَّةِ أَمْ تَأَثِيرَاتِ السَّيْطَرَةِ الرُّومَانِيَّةِ. وَهَذَا مَا تَسَبَّبَ لَهُ بَعْدَاوَةُ مَعْلَمِي الْهَيْكَلِ وَأَدَّى بِهِ فِي النِّهَايَةِ إِلَى الْمَوْتِ.

... وَهَكَذَا، فَإِنَّ الْوَحْيَ الْمَسِيحِيَّ عَنِ اللَّهِ لَا يَتَمَّ مِنْ فَوْقَ، بَلْ مِنْ تَحْتِ؛ لَا بِالْقُدْرَةِ، بَلْ بِالضَّعْفِ الْمُتَقَاسَمِ؛ لَا بِالسَّيْطَرَةِ، بَلْ بِالخِدْمَةِ. وَقَدْ اسْتَخْلَصَ الْقُدَّيسُ بُولْسُ مِنْ ذَلِكَ النَّتَاجِ التَّالِيَةِ: «مَا كَانَ فِي الْعَالَمِ مِنْ حِمَاةٍ فَذَلِكَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِخُزَيْرِي الْحُكَمَاءِ، وَمَا كَانَ فِي الْعَالَمِ مِنْ ضَعْفٍ فَذَلِكَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِخُزَيْرِي مَا كَانَ قَوِيًّا، وَمَا كَانَ فِي الْعَالَمِ مِنْ غَيْرِ حَسَبٍ وَنَسَبٍ وَكَانَ مُحْتَقَرًا فَذَلِكَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ: اخْتَارَ غَيْرَ الْمَوْجُودِ لِئُزِيلَ الْمَوْجُودِ» (١ كُو ١: ٢٧-٢٨).

هَذَا يَتَوَضَّحُ الْمَعْيَارُ الْأَكْثَرُ جَوْهَرِيَّةً لِلسُّلُوكِ الْمَسِيحِيِّ: أَنْ نَرَى وَنُفَكِّرَ وَنَعْمَلَ فِي الْعَالَمِ تَبَعًا لِمَا يُعْتَبَرُ فِي الْمَجْتَمَعِ بِلَا مَعْنَى وَهَشًّا وَسَرِيعَ الْعَطْبِ، بَدَاءً بِمَا يَدْعُوهُ الْبَابَا فَرَنْسِيْسُ «ضَوَاحِي الْوُجُودِ»، وَلَيْسَ، كَمَا نَفْعَلُ دَائِمًا، أَيَّ انْطِلَاقًا مِنَ الْأَعْلَى، مِنْ مَرَاكِزِ الْقَرَارِ وَالسُّلْطَةِ... إِنَّ ذَلِكَ لَضَّرُورَةٌ إِنْجِيلِيَّةٌ حَتْمِيَّةٌ.

كَانَ الْبَابَا الْقُدَّيسُ يُوْحَنَّا-بُولْسُ الثَّانِي يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ صَوْتُ الَّذِينَ لَا صَوْتَ لَهُمْ، «صَوْتُ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ أَوْ الَّذِينَ أُرْغِمُوا عَلَى الصَّمْتِ». وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَصِحُّ فِي كُلِّ مَسِيحِيٍّ مُتَضَامِنٍ مَعَ الْإِخْوَةِ الْأَكْثَرِ هَشَاشَةً فِي الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَبْلَ أَنْ نَكُونَ صَوْتًا مِنْ لَا صَوْتَ لَهُمْ، يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتِمَّكَنَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا وَيَقُولُوا بِأَنْفُسِهِمْ مَا لَدِيهِمْ لِلْقَوْلِ. عَلَى هَذَا يَقُومُ مَسْعَى جَمَاعَاتِ عَمَّالِي وَمَجَامِعَاتِ «(ADT Quart-Monde...)»، مِنْذُ تَأْسِيسِهَا: أَنْ يَسْتَطِيعَ الْفُقَرَاءُ وَالْمُنْبُوذُونَ أَنْ يَقُولُوا ... وَأَنْ يُسْمَعُوا. أَنْ يُطَلَّبَ مِنْهُمْ تَقْدِيمُ مَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيمَهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ نَقْدَمَ الْعَوْنَ لَهُمْ.

(جان-ماري بلو، العمل والمقاومة كمسيحيين، منشورات المشغل)

انتباهٌ مُحِبٌّ تُجَاهَ الْفَقِيرِ...

١٩٩- إِنَّ التَّرَامَنَا لَا يَقُومُ حَصْرِيًّا عَلَى أَعْمَالٍ وَبِرَامِجٍ لِلتَّقَدُّمِ وَالْمُسَاعَدَةِ؛ فَمَا يُثِيرُهُ الرُّوحُ الْقُدْسُ لَيْسَ فَيْضًا مِنَ الْفَعَالِيَّةِ، بَلْ هُوَ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، انْتِبَاهٌ إِلَى الْآخَرِ الَّذِي (يَعْتَبَرُهُ مِثْلَ وَاحِدٍ مَعَهُ). هَذَا الْإِنْتِبَاهُ الْمُحِبُّ

هو بدايةً اهتمامٍ حقيقيٍّ بشخص الآخر، أرغب أنطلقاً منها في البحثِ الفعليِّ عن خيره. وهذا يستلزم إعطاءَ القيمةَ للفقير في طبيئته الخاصة، مع طريقته في أن يكون، مع ثقافته، ومع كفيئته عيشه للإيمان. إنَّ الحبَّ الحقيقيَّ هو دائماً تأمليٌّ، وهو يتيح لنا أن نخدم الآخر لا عن ضرورة ولا عن غرور، بل لأنَّه جميلٌ بصرف النظر عن مظهره: «فلأننا نُحبُّ شخصاً ما، نُقدِّم له هدايا». فالفقير، عندما يكون محبوباً، (يعتبر ذا قيمة كبيرة)، وهذا ما يُميِّز بين الخيار الأصيل لصالح الفقراء وبين عقيدةٍ معينة أو نيةٍ محدَّدة لاستعمال الفقراء في خدمة مصالحٍ شخصيَّة أو سياسيَّة. فانطلاقاً من هذا القرب الحقيقيِّ والودِّيِّ فقط، نستطيع أن نرافقهم كما ينبغي، على طريق تحريرهم. وهذا وحده ما يتيح للفقراء في الجماعات المسيحيَّة أن يشعروا بأنهم ((في بيتهم)). وليس هذا الأسلوب هو العرض الأكبر والأفضل لبشرى الملكوت الجديدة؟ إذ من دون الخيار التفضيليِّ للأكثر فقراً ((يتعرَّض التبشير بالإنجيل، الذي يبقى في طبيعة أعمال الخير والمحبة، إلى خطر أن يكون غير مفهومٍ أو أن يغرق في سيلٍ من الكلام الذي يُعرِّضنا له يومياً مجتمع الاتِّصالات الحالي)).

٢٠٠- لما كان هذا الإرشاد يتوجَّه إلى أعضاء الكنيسة الكاثوليكيَّة، أوْدُ أن أقول، لا من دون ألمٍ، إنَّ أسوأ أنواع التمييز الذي يُعاني منه الفقراء هو غياب الاهتمام الروحيِّ. إنَّ الغالبية العظمى من الفقراء لديها انفتاحٌ خاصٌ نحو الإيمان: إنهم في حاجةٍ إلى الله، ولا يُمكننا أن نتهاون في أن نقدِّم لهم صداقته وبركته وكلمته والاحتفال بالأسرار، ولا أن نغفل عن أن نعرض عليهم طريقاً للنموِّ والنُّضج في الإيمان. إنَّ الخيار التفضيليِّ للفقراء يجب أن يُترجم بصورة رئيسيَّة إلى انتباهٍ دينيٍّ مُميِّز وبالأولويَّة.

البابا فرنسيس، الإرشاد الرسوليِّ ((فرح الإنجيل))، العددان ١٩٩ و ٢٠٠

أن نعمل ((مع الفقراء)) وليس ((لأجل الفقراء))

في مثل السامريِّ الصالح (لو ١٠: ٢٥-٣٧)، يأتي السامريُّ لإغاثة الجريح لأنَّه ((أشفق)) أو ((تحنن)) عليه... أمَّا تصرُّف الكاهن واللاويِّ اللذين أبصره كلاهما ومالا عنه فهو يطرح علينا السؤال: ما الذي منعهما من أن يشعرا تجاهه بالشفقة التي شعر بها السامريُّ؟

هذا الأمر يقودنا إلى التفكير في ما ينبغي تسميته بكابتٍ أو كابتٍ الشفقة؛ هناك سلسلة كاملة من الحجج المتواترة على مدى التاريخ تعمل على إقناعنا بعدم المبادرة إلى مساعدة الفقراء أو بأن لا نبادر إلاً بطريقةٍ محدودة جداً. قبل القرن التاسع عشر، كان من النادر أن ترى أشخاصاً يقولون بأنَّ الفقر يمكن أن تكون له أسبابٌ غيرٌ فريقيَّة... تجدر الإشارة أيضاً إلى وجود نقدٍ للشفقة ينم عن موقفٍ متعجرفٍ يحاول أن يسلب المستفيد من الشفقة استقلاليتته وكرامته...

تبدأ الشفقة الحقيقية بالإدراك، وبخاصة بالاعتراف بأن البؤس حلقة مُفرغة... ففي البؤس، لا يمكن للمرء أن يكون ((فقيرًا طيبًا)). الشفقة الحقيقية تفرض المبادرة إلى مساعدة البؤساء بمرافقتهم كما هم ومساندتهم بالرجاء بحيث يكونون أطرافًا معنيين. هناك صيغة تعبّر عن ذلك بشكلٍ جيّد: العمل ((مع الفقراء)) وليس ((الأجلهم))...

وكما قلنا، إنّ الذين يعيشون في البؤس والشقاء ليس لديهم القدرة على إسماع صوتهم. فهم، بالتالي، في حاجة إلى مَنْ يكون لسانَ حالهم والمدافع عنهم... فلننذّر صورةً أيّوب: هذا المسكين الذي فقد كلّ شيء والذي يريد أصدقاؤه أن يُقنعوه بأنه هو شخصيًا المسؤول عن مصيبتة. وها هي صرخة أيّوب: ((مَنْ لي بأن تُكْتَبَ أقوالي ومَنْ لي بأن تُحْفَرَ في سِفْرِ. بإزميلٍ من حديدٍ وبالرّصاص أن تنقشَ في الصّخرِ للأبد؟)) (أي ١٩: ٢٣-٢٤). وبالفعل، متى يأتي ذلك الذي سيدافع عن قضيتي؟ والحال إنّ الذي يتولّى الدفاع عن أيّوب، مع إدخال الله في هذا الدِّفاع، هو بالتحديد كاتبُ سفرِ أيّوب... وهكذا بهذا الجواب، هذه الصرخة، التي هي صرخة كلّ إنسان غارقٍ في الشقاء، لم يتمّ نسيانها بعد، ولم يعد بالإمكان أن تُنسى.

إنّ جميع الذين يعيشون في البؤس والشقاء يحتاجون إلى مَنْ يُسمِعَ صراخهم... ويحمل قضيتهم إلى ضمير الجميع، ويدافع عنهم في المناقشات العامة. وإذا كان يسوع قد استطاع القول ((إنّ الفقراء هم عندكم دائمًا أبدًا)) (مت ٢٦: ١١)، فليس ذلك لكي يحثنا على الاستسلام للواقع، وإنّما من أجل تذكيرنا بأنه لا بُدَّ دائمًا من تكرار محاولة مساعدة الفقراء للخروج من الهوامش التي يريد المجتمع أن يدفعهم إليها. ولكن، من أجل ذلك، يجب إبقاء الضمائر في حالة اليقظة والسهر، والعمل على تنامي الشعور بالعجلة الملحّة، وترسيخ العزم الجماعي.

إنّ الصرخة النابعة من أوضاع البؤس والشقاء تطرح علينا السؤال وتضعنا في وضع تحدّي لتحويل الشفقة إلى تصوّرٍ للممكن.

برنار روردورف، بروفسور شرف في كليّة اللاهوت في جنيف- يوم التسوّل- التسوّل، الغرامة أو الشفقة، ٢ آذار ٢٠١٢

رابعًا - مسارات لواجب المجالسة

- مَنْ هم الفقراء في حياتنا؟
- كيف يمكننا كزوجين أن نكون، كما يدعونا إليه ج. م. بلو، ((صوت مَنْ لا صوت لهم...))
- ما هي نظرتنا لوضع الفقراء اليوم في المجتمع؟ كيف نتعامل معهم؟ وما هو سبيلنا إلى التوبة؟

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- خلال الشهر المنصرم، أية نظرة كانت لنا تجاه أخوتنا الأكثر عوزًا ؟
- بأية طريقة عرفنا أن نثبت لهم ((اهتمامًا روحياً)) ؟

صلاة

^{١٨}وسأله أحد الوجَّهَاءِ: ((أيتها المُعلِّمُ الصالحُ، ماذا أعملُ لأرث الحياةَ الأبديةَ؟))^{١٩} فأجابهُ يسوعُ: ((لماذا تدعونني صالحًا؟ لا صالح إلا الله وحده. ^{٢٠}أنت تعرفُ الوصايا: لا تزني، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهدُ بالزور، أكرمُ أباك وأمَّك)).^{٢١} فقال الرجلُ: ((من أيام صباي عملتُ بهذه الوصايا كلها)).^{٢٢} فلما سمع يسوعُ كلامه هذا، قال له: ((يُعوزُك شيءٌ واحدٌ، بَعِ كُلَّ ما تملكُ ووزعْ ثمنه على الفقراءِ، فيكون لك كنزٌ في السمواتِ، وتعال أتبعني)).^{٢٣} فحزنَ الرجلُ عندما سمعَ هذا الكلامَ، لأنه كان غنياً جداً.^{٢٤} ورأى يسوعُ أنه حزنٌ، فقال: ((ما أصعبُ دخولَ الأغنياءِ إلى ملكوتِ الله! ^{٢٥}فمُرورُ الجملِ في ثقبِ الإبرةِ أسهلُّ من دخولِ الغنيِّ إلى ملكوتِ الله)).^{٢٦} فقال السامعونُ: ((من يمكنه أن يخلصَ، إذا؟))^{٢٧} فأجاب يسوعُ: ((ما لا يمكنه عندَ الناسِ، مُمكن عندَ الله)).

(لو ١٨ : ١٨-٢٧)

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- المحلّ الذي يحتله الفقيرُ في قاعدة الحياة التي نعتمدها.
- الإصغاءُ إلى كلمة الله يُظهرُ لنا إليها يهتَمُّ بالفقيرِ والأرملةِ واليتيمِ والمرضى. الحياة البشرية لها ثمنٌ...
- يُعلن البابا فرنسيس: ((آن الأوان لكي نُصَلِّي...)).
- الصلاةُ القلبيةُ ينبوعٌ للتواضع: نحن جميعاً فقراء أمام الله.

تبادل الرأي حول موضوع الدرس - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاءُ إلى كلمة الله وإنارةُ الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة ؟
- أن نرى ونُفكّر ونعمل في العالم تبعاً لما هو هُشُّ أو سريعُ العطب في مجتمعنا.
- يتمنى البابا فرنسيس ((كنيسةً فقيرةً ولفقراء)).
- يدعونا برنار روردوف إلى العمل ((مع الفقراء)) أكثر من ((لأجل الفقراء)).

المزمور ١٣٠ (١٣١)

١ يا رَبُّ، لم يَسْتَكْبِرْ قَلْبِي وَلَا اسْتَعَلَّتْ عَيْنَايَ؛

ولم أَسْلُكْ طَرِيقَ الْمَعَالِي،

ولا طَرِيقَ الْعَجَائِبِ مِمَّا هُوَ أَعْلَى مِنِّي.

٢ بل أَسْكِنُ نَفْسِي وَأُسْكِنُهَا.

مِثْلَ مَقْطُومٍ عِنْدَ أُمِّهِ، مِثْلَ مَقْطُومٍ، هَكَذَا نَفْسِي عَلَيَّ.

٣ لِيَكُنْ إِسْرَائِيلُ رَاجِيًا لِلرَّبِّ

مِنَ الْآنَ وَلِلْأَبَدِ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع السادس

أن أكون حاضرًا لآخر

أولاً - كلمة الله

١ من بولس سجين المسيح يسوع ومن الأخ طيموتاؤس إلى فيليمون حبيبنا ومعاوننا...
٩ فقد آثرت أن أسألك باسم المحبة سؤال بولس الشيخ الكبير الذي هو الآن مع ذلك سجين يسوع المسيح.
١٠ أسألك في أمر ابني الذي ولدته في الفيود، أونيسموس^{١١} الذي كان بالأمس غير نافع لك، وأمّا الآن فلي ولك صار نافعاً. ١٢ أرده إليك، وهو قلبي. ١٣ وكان بوذي أن أحتفظ به لنفسي فيخدمني بدلاً لك في تلك الفيود التي أحملها من أجل البشارة. ١٤ غير أنني لم أشأ أن أفعل شيئاً من دون رضاك لكيلاً يكون منك الإحسان كرهاً، بل طوعاً. ١٥ ولعله لم يفصل عنك ساعة إلا ليعاد إليك للأبد، ١٦ لا ليكون عبداً بعد اليوم، بل أفضل من عبد، أي أخواً حبيباً، وهو أخواً حبيباً جداً إليّ فكم بالأحرى إليك، إن في صلة بشرية وإن في صلة في الرب. ١٧ فإن كنت تراني شريكاً لك في الإيمان، فاقبله قبولك لي. ١٨ وإن كان قد أساء إليك بشيء أو كان لك عليه دين، فاحسب ذلك عليّ. ١٩ أنا بولس قد كتبت ذلك بخط يدي: أنا أفي. ولا أقول لك إنك أنت أيضاً مدين لي حتى بنفسك. ٢٠ أجل، يا أخي، إنني أرجو أن تحسن إليّ هذا الإحسان في الرب، فاشرح صدري في المسيح.

(من رسالة بولس الرسول إلى فيليمون)

يدعو بولس الرسول فيليمون إلى أن ينظر إلى أونيسيموس لا كعبد، بل كأخ حبيب في الرب. (في الرب): هذه حقيقة تُغيّر العلاقات البشرية كلها.

لا يقول بولس، ولا العهد الجديد، شيئاً عن العبودية كمؤسسة اجتماعية. هذا أمر واقع. لا يهم بولس أن يجعل من المؤسسات موضع شك، بل أن يصلحها ((من فوق))، بالحب الآتي من المسيح. إن ابن الله، بتجسده وموته وقيامته، جعل منا جميعاً أبناء الأب نفسه، وبالتالي إخوة وأخوات. هذه المساواة الأخوية تُغيّر كل شيء: ((فليس هناك يهودي ولا يوناني، وليس هناك عبد أو حر، وليس هناك ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.)) (غل ٣: ٢٨).

نتائج ذلك كبيرة. فالجميع، على المائدة الإفخارستية، مقبولون لتناول الغذاء الواحد، جسد المسيح ودمه. إن المساواة في الممارسة الدينية قد بدأت، في تاريخ البشرية، مع عشاء الرب. وهذه أعظم عجائب الديانة المسيحية. إن إلغاء العبودية (مع أنها لا تزال موجودة بشكل أو بآخر في العديد من البلدان!) تجد أصلها في المسيح. يا لقدرة الإيمان بالرب العاملة في مجرى التاريخ!

ثانياً - عرض الفصل

إن تمييز علامات الأزمنة هو الاستعمال الجيد لوسائل الاتصال العصرية لكي يصير المرء، بالرغم من كل حدود، قريب إخوته البشر، ويتيح ولادة ثقافة لقاء حقيقية.

صار الله إنساناً في يسوع المسيح لئيساعدنا على اللقاء به من خلال إخوتنا. يتعين علينا إذن أن نلاحظ الطريقة التي يعمل بها يسوع مع البشر لكي نفهم بشكل أفضل ونطبّق وصية الرب التي غالباً ما علّق عليها الأب كافاريل: ((أحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا)). ينظر يسوع المسيح إلى الآخر كصورة لله مهما كان وضعه ومسيرته، حتى ولو أدى ذلك بيسوع إلى صدام مع الكتبة والفرسيين. ويضيف تحديداً: ((فإن أحببتهم من أحببتكم، فأني أجر لكم؟ وأليس الجباة يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوانكم وحدهم، فأني زيادة فعلتم؟ وأليس الوثنيون يفعلون ذلك؟)) (مت ٥: ٤٦-٤٧). وأخيراً، في مثل السامري الصالح، (يقلب يسوع وجهة النظر: فالأمر لا يتعلق بالاعتراف بالآخر كند لي، وإنما بقدرتي على أن أكون بالفعل نداءً للآخر)) (البابا فرنسيس، رسالة إلى اليوم العالمي الـ ٤٨ للاتصالات الاجتماعية - ٢٤/١/٢٠١٤).

إن العولمة، اليوم، وشبكات التواصل الاجتماعية، وتطور الاتصالات بوجه عام، تُوفّر معرفة أفضل للناس المحيطين بنا. ومع ذلك، فمن قبيل المفارقة الملاحظة أنه، بالرغم من هذا الفورة في وسائل الاتصال، فإن نظرتنا إلى الآخر لا تزال سطحية جداً وحتى مغلوطة ولا تؤدي إلى لقاء حقيقي معه. نحن نكتفي في معظم الأحيان بالرؤية، من دون أن نشعر حقيقةً بـ«تحرّك الأحشاء» الذي شعر به السامري أمام الرجل الجريح، هذا الشعور الذي هو المرحلة الأولى لكي تصير الرؤية الحسية نظرة القلب، فنقودنا إلى العمل. فلنستفد من التقدم التقني لكي «نغيّر قلوبنا الحجرية إلى قلوب من لحم» (حز ٣٦: ٢٦).

ثالثاً - نصوص للتفكير

التواصل من أجل الانفتاح على الآخر

عندما يكون التواصل معداً في الأساس لدفع الناس إلى الاستهلاك والتلاعب بالأشخاص، فإننا نكون في مواجهة عدوان عنيف يُشبه ما تعرّض له الرجل الجريح من قبل اللصوص الذين تركوه على جانب

الطريق بين حيٍّ وميت، كما نقرأه في مثل السامريِّ الصالح (لو ١٠: ٢٩-٣٧). فالكاهن واللاوي لم يريا فيه قرييَهما، بل رأيا غريبًا من الأفضل لهما الابتعادُ عنه. إنَّ ما جعلهما يتصرَّفان في تلك اللحظة على هذا النحو هو ما تقتضيه الطهارة الطقسيَّة. واليوم، نحن نتعرَّض لخطرٍ يقوم على أن بعض وسائل الاتِّصالات تتحكَّم بنا لدرجة أنها تجعلنا نجهل قريينا الحقيقيَّ.

لا يكفي أن نعبرَ «الطرق» الرقميَّة، أي أن نكون متّصلين بالشبكة الرقميَّة، وإنَّما ينبغي أن يترافق هذا الاتِّصال بقاءٍ حقيقيٍّ، لأنَّه لا يُمكننا أن نعيش وحدنا، منغلقيين على أنفسنا. نحن في حاجة إلى أن نُحبَّ وأن نُحبَّ. نحن في حاجة إلى حنان. وليست استراتيجيات التواصل هي التي تضمن لنا الجمال والطيبة والحقيقة. كما لا يمكن لعالم الاتصالات أن يكون غريبًا عن الاهتمام بالبشريَّة، إذ لديه دعوةٌ إلى التعبير عن الحنان. وهكذا يمكن أن تكون الشبكة الرقميَّة رابطًا مليئًا بالإنسانيَّة، لا مجرد شبكة من الخطوط السلكية أو اللاسلكية، بل شبكة أشخاصٍ بشريين. إنَّ حيادَ وسائل الإعلام ليس إلَّا حيادًا ظاهريًّا. وحده الشخص الذي يتواصل مع الآخر واضحًا ذاته على المحكِّ يُمكن أن يمثِّل مرجعيَّةً للآخر. فالانخراط الشخصيُّ هو أساس المِصداقيَّة في التواصل، ولهذا السبب بالذات يمكن، بفضل الشبكة، أن تصل الشهادة المسيحيَّة إلى الضواحي الوجودية.

وكما أكرر غالبًا: بين كنيسةٍ تخرج إلى الشارع وتعرَّض للحوادث، وكنيسةٍ مريضةٍ ليس لها مرجعيَّة غير ذاتها، أنا أفصِّل الأولى. والطرق هي طرق العالم حيث يعيش الناس وحيث يمكننا التواصل معهم فعليًّا وعاطفيًّا. من بين هذه الطرق، هناك أيضًا الطرق الرقميَّة التي تغصُّ بالبشريَّة المجروحة غالبًا: رجال ونساء يبحثون عن خلاص أو رجاء. وبفضل الشبكة أيضًا، يمكن للرسالة المسيحيَّة أن تسافر «حتى أقاصي الأرض» (أع ١، ٨). إنَّ فتح أبواب الكنائس يعني أيضًا فتحها على البيئة الرقميَّة، إمَّا لكي يدخل الناس مَهْمَا كانت الحالات التي يعيشونها وإمَّا لكي يتمكن الإنجيل من عبور عتبة الهيكل والخروج للقاء الجميع. نحن مدعوون إلى أن نشهد لكنيسةٍ تكون بيتًا للجميع، فهل نحن قادرون على أن ننقل للعالم وجه مثل هذه الكنيسة؟

رسالة البابا فرنسيس إلى اليوم العالميِّ الـ٤٨ لوسائل الاتصالات الاجتماعيَّة

أن نعرف كيف نسمع قريينا...

«أن نسمع، أن نسمع دون أن ندين. هذا أمرٌ أصعب بكثيرٍ ممَّا نظنُّ. أن نسمع، ليس مجردَ موقفٍ يجب اتِّخاذه عندما «يحدِّثني» شخصٌ آخر؛ إنَّه موقفٌ أحرُّ أكثر جوهريةً، موقفٌ دائم. ذلك لأنَّ الكائن البشريُّ هو كلامٌ، وليس بكلماته فقط؛ هو تواصلٌ وعلاقة. فأن نسمع، يعني أن نكون بحيث يستطيع الآخر التعبير عن نفسه.

أنا لا أعرف ما يريد الآخر قوله: هذا مبدأ جوهري. والحال إن مبادئ الأخلاقية، بالعكس، قد تجعلني أسمع دائماً لنفسني بأن أعرف مسبقاً ما هو وضع الآخر، فأضعه (في خانة) من خانات لوحة شطرنج العقلية. أستطيع، بلا شك، أن أبدو له بعد ذلك علامات التشجيع أو التفهم. ولكن، يبقى أنني غالباً ما أعلبه أو أصنّفه كبطاقة في ملف... وأعتبره ((مفهوماً))! المطروح هنا، هو قبول أعمق: علي أولاً أن أسمع ما يقوله الآخر، وهذا يعني أن اصير أمامه فقيراً معوزاً، فقيراً فقراً أساسياً، وبدون أية أسلحة.

فلنكن بلا أوهام: لأنني أخشى خشية حقيقية ألا نصل أبداً إلى مثل هذا الموقف كلياً. إنما نستطيع، على الأقل، من جهتنا المتواضعة، أن نفتح للآخر مساحة حرّة، المساحة التي يستطيع فيها الذهاب والمجيء باختياريه. ذلك أولاً لأنه لا يعود مُداناً؛ فهو ما هو، وهذا أمر خارج عن سلطتنا. هناك أمر لافِت في الإنجيل وهو أنّ المسيح يبدو خراً تماماً بالنسبة إلى ((الصورة المتلقاة)) بأن من هم حوله هم هؤلاء الناس أو أولئك. هذه الصورة ترتكز بالطبع على ((الشريعة)). فبالنسبة إلى المسيح، يمكن القول إن ((النّجسين)) ليسوا ((نّجسين))، والمسكونين بالأرواح ليسوا ((مّسكونين))، والخاطئين ليسوا ((خاطئين)). هذا لا يعني أنّه يُكْرهُ أو لا يُقَدَّرُ أهميّة المصائب أو الأخطاء، بل أنّه لا ينظر إلى الكائنات البشريّة أولاً من خلال شبكة تُصنّفهم أو تضعهم في مكانهم وعلى مسافة معيّنة بالنسبة إلى ((قواعده الأخلاقية)). فهُم ما هم.

ربّما يتسنى لنا حينئذ أن نعرف أخيراً أنّ ما كنّا نعتبره كبرياء أو عدوانية ليس في الحقيقة إلاّ ألمًا؛ وما كنّا نعتبره لأمبالاة ليس إلاّ دعوة يائسة؛ وما كنّا نعتبره رفضاً ليس إلاّ اعتراضاً على الكذب؛ وما كنّا نعتبره سقطة ليس إلاّ تقدُّماً).

موريس بيليه، ((اللامقبول))، في كريستوس ٨٢ (نيسان ١٩٧٤)، ٢٥١-٢٥٢

من النبذ إلى اللقاء

اللقاء ليس ممارسة سلطة. كما أنّه ليس عَرْضاً للسّخاء حيث نسعى إلى عمل الخير للآخر. إنّه يتطلّب تواضعاً حقيقياً وفقرًا عميقاً. فأن تكون حاضراً للآخر، أن تُصغي وأن تنظر إليه باحترام وانتباه، هو أمر يتيح لك الحصول على شيء ما بالمقابل. إنّه تواصلٌ بين القلوب، عطاءً متبادلاً مجّاني. لقد اكتشفت، خلال حياتي، أنّ أشخاصاً كثيرين يواجهون صعوبات، هم في الواقع يبحثون عن لقاءاتٍ حقيقية.

ذات يوم، كانت إحدى السيّدات المُساعدات في جماعة ((السفينة)) (l'Arche) قد وصلت في الوقت المناسب لكي تتلقّى بين ذراعيها شاباً تعرفه ينتمي إلى عالم الدعارة، كان على وشك الموت من جرّاء جرعة زائدة من المخدّرات. استطاع هذا الشاب أن يقول لها: ((أنت لم تقبليني يوماً كما أنا. لقد حاولت دائماً أن تُغيّريني!!)). هذه المرأة لم تكن يوماً قد ((التقت)) هذا الشاب لقاءً حقيقياً. فكيف كان بوسعها أن تصير صديقة شخصٍ عالقٍ في عالم المخدّرات والدعارة؟ كيف كان لها أن تعترف به كشخصٍ مجروحٍ في العمق؟ وأن تكشف له جمال شخصه المخفي وراء فقره البشري وإدمانه؟...

قصة مماثلة تتعلّق بأبٍ، ربّ عائلة، طلبني هاتفياً ذات يوم مُستغيثاً. لم يكن يعرف ماذا يعمل وكيف يتصرّف. فابنّه، الذي كان في حوالي الأربعين من العمر، كان مدمناً على الكحول. وقد تركته زوجته. لقد خضع مرّاتٍ عديدة لعلاجٍ خاصٍ للتخلّص من الإدمان، ولكنه كلّما كان يعود إلى المنزل كان يعاود الشرب. فأجبتُ هذا الوالد أنّ بوسعه البدء بعدم التحدّث في العائلة عن هذا الابن وكأنّه مُشكلة، بل كشخصٍ يتألّم ويبكي... إنّ اللقاء ((الحقيقي)) هو مُزيلٌ للصدأ، يجعلنا نكتشف ونلتقي عجزنا. ولكي نعيش هذا اللقاء، يجب علينا الاعتراف بضعفاتها الخاصّة وب حاجتنا إلى المساعدة. هذان المثالان يكشفان صعوبات اللقاء بالذين هم ((في الحضيض)) ورؤية ما في شخصهم من جمال.

إنّ التاريخ الشخصي لكلّ واحدٍ منّا معقّد في الغالب، ومطبوعٌ أحياناً كثيرة بالآلام المُعاشة داخل العائلة. فعبر كلّ لقاءٍ حقيقيّ، نجد أنفسنا مُعرّضين لضعفاتها الخاصّة. إذا كنّا، في علاقةٍ إحسانٍ، نحفظُ بالسلطة، ففي اللقاء الحقيقيّ نفقد كلّ سلطة وكلّ معرفةٍ مُسبّقة. وهذا يتطلّب الكثير من التواضع، كما يتطلّب نُموّاً نحو محبةٍ قوامها الحكمة.

نحن لا نعرف دائماً إدارة مشاعرنا الخاصّة، ولا نزواتنا العدائيّة أو العاطفيّة، ولا مخاوفنا. والحال إنّ كلّ واحدٍ منّا يشعر بمخاوفه، ويجهل غالباً ما عليه أن يقوله أو أن يفعله. فنبدأ حينئذ بالشعور أنّنا في حاجة إلى الآخرين: إلى جماعة، إلى اختصاصيين، إلى الروح القدس، إلخ... أي إلى مَنْ يستطيع أن يقول لنا الكلمات المُطمئنة والشافية. إنّ اللقاء يُفقرنا ويُدخلنا في فقرنا الخاصّ. وهو طريقٌ يفتحنّا على منظورات استثنائية: إنّ اللقاء مع الفقير والمُهان والمنبوذ يمكن أن يُحوّلنا ويجعلنا نكتشف المعنى العميق لحياتنا.

جان فانييه، مؤسس ((السفينة-Arche)) (منظمة دولية)

علامات الأزمنة في ضوء المجمع الفاتيكاني الثاني، منشورات ألبان ميشال، ٢٠١٢، ص ٦١-٦٥

رابعاً - مسارات لواجب المجالسة

- كيف نَسْتَلِبُ وسائل الاتّصال الحديثة التواصّل بيننا كزوجين؟
- هل نحترم في تربيتنا لأولادنا هويّتهم الذاتية حتى ولو كانت تُفاجئنا أو تُزعجنا؟ ألا نتحرّف سلطتنا الوالديّة أحياناً، وإن كان يقودها الحُبّ، نحو مُجرّد رغبةٍ في أن نُطاع؟
- في علاقتنا الرّوجيّة، هل يقبل كلّ منّا، كما يقول جان فانييه، بأن يعترف بضعفاته الخاصّة وب حاجته إلى المساعدة؟ وما هي أنواع التقدّم التي يتعيّن علينا القيام بها في هذا السبيل؟

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- في حياتنا اليومية، كيف ساعدتنا وسائل الاتصال الحديثة على أن نكون خلال هذا الشهر أكثر أو أفضل حضورًا الواحد للآخر؟

صلاة

^١ من بولس سجين المسيح يسوع ومن الأخ طيموتاؤس إلى فيلمون حبيبنا ومعاوننا...
^٩ فقد آثرت أن أسألك باسم المحبة سؤال بولس الشيخ الكبير الذي هو الآن مع ذلك سجين يسوع المسيح.
^{١٠} أسألك في أمر ابني الذي ولدته في القيود، أونيسموس^{١١} الذي كان بالأمس غير نافع لك، وأمّا الآن فلي ولك صار نافعًا.^{١٢} أرده إليك، وهو قلبي.^{١٣} وكان بوذي أن أحتفظ به لنفسي فيخدمني بدلًا لك في تلك القيود التي أحملها من أجل البشارة.^{١٤} غير أنني لم أشأ أن أفعل شيئًا من دون رضاك لكيلا يكون منك الإحسان كرهاً، بل طوعًا.^{١٥} ولعله لم يفصل عنك ساعة إلا ليعاد إليك للأبد،^{١٦} لا ليكون عبداً بعد اليوم، بل أفضل من عبداً، أي أختاً حبيباً، وهو أخت حبيب جداً إليّ فكم بالأحرى إليك، إن في صلة بشرية وإن في صلة في الرب.^{١٧} فإن كنت تراني شريكاً لك في الإيمان، فاقبله قبولك لي.^{١٨} وإن كان قد أساء إليك بشيء أو كان لك عليه دين، فاحسب ذلك عليّ.^{١٩} أنا بولس قد كتبت ذلك بخط يدي: أنا أفي. ولا أقول لك إنك أنت أيضاً مدين لي حتى بنفسك.^{٢٠} أجل، يا أخي، إنني أرجو أن تحسن إليّ هذا الإحسان في الرب، فاشرح صدري في المسيح.

(من رسالة بولس الرسول إلى فيلمون)

المشاركة الروحية - بعض المسارات

- هل تساعدنا قاعدة الحياة المعتمدة من قبلنا، كما يدعونا إليه مورييس بيلييه، على أن (نسمع وأن نكون، بشكل أفضل، في وضع يتيح للأخر التعبير عن نفسه)؟
- أية قراءات من كلمة الله تقودنا على هذا الطريق؟
- كيف تمنحنا صلاتنا القوة لكي لا نضع الآخر في (خانة) محددة، ولكي نعترف بهشاشاتنا؟

تبادل الرأي حول موضوع الدرس - بعض المسارات

- بماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- ماذا عن القبول بالاختلاف وعن تقبل الشخص الذي ليس من جهتنا، أو من بلدنا أو من ثقافتنا...؟
- في الكنيسة، يدعونا البابا والأساقفة إلى تقبل الأشخاص المثليين والمجروحين في الحياة. ما هو موقفنا الشخصي من هذا الأمر؟
- كيف تستطيع العلاقة بين الرجل والمرأة أن تتطور من أجل بناء مجتمع أكثر احترامًا للآخر؟

المزمور ١٠٦ (١٠٧)

٢٣ كانوا يخوضون البحر في السفن، يسعون للعمل في المياه العذرية،

٢٤ هم الذين عاينوا أعمال الرب وعجائبه في الغمار.

٢٥ قال فقامت ريح عاصفة ورفعت أمواجه.

٢٦ يصعدون إلى السماء ويهبطون إلى الأعماق، فتذوب نفوسهم من الشرور.

٢٧ يدورون ويترنحون كالسكارى وقد ابتلعت حكمتهم كلها.

٢٨ فصرخوا إلى الرب في ضيقهم، فأخرجهم من شدائدهم.

٢٩ حول الزوبعة إلى سكينه، فسكتت الأمواج.

٣٠ ففرحوا عندما سكنت، وهداهم ميناء بُغييتهم.

٣١ فليحمدوا الرب لأجل رحمته وعجائبه لبني البشر،

٣٢ وليعظموه في جماعة الشعب. وليسبحوه في مجلس الشيوخ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع السابع

أن أكون اليوم تلميذ المسيح

أولاً - كلمة الله

«رُوحُ أَبِيكُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِكُمْ»

١٦ ((هَاءُ نِذَاءٍ أُرْسِلُكُمْ كَالْخِرَافِ بَيْنَ الذَّنَابِ: فَكُونُوا كَالْحَيَاتِ حَازِقِينَ وَكَالْحَمَامِ سَادِجِينَ.

١٧ احذروا النَّاسَ، فَسَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ، وَيَجْلِدُونَكُمْ فِي مَجَامِعِهِمْ،

١٨ وَتُسَاقُونَ إِلَى الْحُكَّامِ وَالْمُلُوكِ مِنْ أَجْلِي، لِتَشْهَدُوا لَدَيْهِمْ وَلدى الْوَثْنِيِّينَ.

١٩ فَلَإِ يَهْمَكُمْ حِينَ يُسَلِّمُونَكُمْ كَيْفَ تَتَكَلَّمُونَ أَوْ مَاذَا تَقُولُونَ، فَسَيُلْقَى إِلَيْكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ.

٢٠ فَلَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ، بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِكُمْ.

(متى ١٠: ١٦-٢٠)

لا مجال للدهشة. إنَّ اتِّبَاعَ الْمَسِيحِ الْيَوْمَ، كَالْأَمْسِ، أَمْرٌ مَحْفُوفٌ بِالْمَخَاطِرِ. إِذَا كَانَ الْمَعْلَمُ قَدْ عَرَفَ الصَّلِيبَ، فَهَذَا مَا سَيَكُونُهُ مَصِيرُ التَّلْمِيزِ. إِنَّ شُهَدَاءَ الْأَمْسِ أَوْ الْيَوْمِ يَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ. وَهَذَا يُعْطِي يَسُوعَ ثَلَاثَ تَعْلِيمَاتٍ لِتَلَامِيذِهِ الَّذِينَ يَنْطَلِقُونَ كَمُرْسَلِينَ. وَهِيَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْنَا أَيْضًا نَحْنُ الَّذِينَ نَجْتَازُ فِي الْحَيَاةِ الْعَقَبَاتِ وَالْمِحْنَ، الْمُؤَلِّمَةُ أَحْيَانًا.

علينا أولًا بالاحتراس والمرونة. فالذناب والمصاعب الكثيرة هي حولنا وفيها. لا هجمات مباشرة! علينا أن نتقدم بدون أن نُغَيِّظَ الشَّيَاطِينَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ أَنْ نَدْعَهُمْ نِيَامًا. فَعَدْمُ تَضَخِيمِ مَشَاكِلِنَا يَعْنِي الْبَقَاءَ أَحْرَارًا. ثُمَّ عَلَيْنَا بِالْحَذَرِ. إِذَا كَانَتْ الْإِضْطِهَادَاتُ تَأْتِينَا ((بِسَبَبِ الرَّبِّ))، فَلْنَحْذَرُ إِذْنًا، وَلْنَسَهْرُ عَلَى أَلَّا نَدْعَ أَنْفُسَنَا تَتَأَثَّرَ. فَالشَّهَادَةُ هِيَ فِي قَوَّتِنَا وَثِبَاتِنَا وَهَدُونِنَا. وَاللَّهُ هُنَا.

وأخيرًا، ((رُوحُ أَبِيكُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِكُمْ)). هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي تُثِيرُ حَيَاةَ كُلِّ شَهِيدٍ وَحَيَاتِنَا. وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، فِي وَسْطِ الْمِحْنِ، مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَتْ، يَسْتَقِرُّ عَلَيْنَا وَيَتَكَلَّمُ فِيْنَا. فَالْإِيمَانُ بِحُضُورِهِ وَابْتِحَارُ قَوَّتِهِ هُمَا يَنْبُوعُ سَلَامٍ لَنَا. وَالْفَرَحُ هُوَ الْحَيَاةُ مَعَ الْمَسِيحِ وَالسَّيْرُ فِي خَطَاةِ.

سَوْفَ نَكُونُ دَائِمًا تَلَامِيذَ الْمَسِيحِ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ، شَهَادَةً عَلَى الْمِحْنِ الْمُتَخَطِّةِ بِفَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ.

ثانياً - عرض الفصل

إنّ تمييز علامات الأزمنة هو أن نعرف كيف نكون منتبهين في مجتمعاتنا المعاصرة إلى حقيقة ما يقوله الآخرون من دون أن نتخلّى عن الشهادة لرسالة المسيح.

إنّ يسوع المسيح، بموته الاختياريّ وقيامته، قد بيّن لنا أنّ الحبّ هو قانونُ حياتنا الأساسيّ وهدفها النهائيّ. فالإيمان بابن الله لا ينفصل عن بذلِ الذات والانتماء إلى الجماعة والخدمة والمصالحة مع الآخرين. يدعونا المثالُ الأعلى المسيحيّ إلى أن نتخطّى فقدانَ الثقة والتصرفاتِ الدفاعيّة التي يحثُّنا عليها العالمُ الحاليّ. أمامَ تعقيدات مجتمعاتنا، يجب علينا عدمُ التخلّي عن الشهادة. فبنعمة الله التي تستحيّ مخيّلتنا، نستطيع أن نبرهن عن قدرتنا على الابتكار. ذلك لأنّ اتّخاذَ خياراتٍ مستتيرة بالإنجيل هو أمرٌ صعبٌ لأنّه، حتى ولو كان التعليم المسيحيّ يبدو واضحاً وبدون لبس، يتعيّن علينا أن نحسن الانتباه إلى حقيقة ما يقوله الآخرون والاهتمام بأن لا نجرحهم. فبدون إصغاء، لن يكون الكلام سوى مجرد شعار. وكما يقول تيموثي رادكليف: «علينا أن نصير الآخر، أن ندخل في مخيلته وفي ما يواجهه من خيارات ذات حدّين، وذلك قبل أن نغدق عليه النصّح والتعليم.»*

إنّ الفرح والرحمة والصبر والمثابرة هي أمور لا تنفصل عن الرسالة الإنجيليّة. وعلينا أن نجد طريقة التواصل الأكثر ملاءمةً للظروف. فبدون الرجاء وبدون الثقة في مقاصد الله، لا نستطيع أن نكون تلاميذ المسيح. التشاؤم يحوي الانهزام كبذرة، والشعورُ بالعجز وبعدم القدرة ليس إلاّ فخاً.

ما يُحدّد الإنسانَ المسيحيّ ويعرّفُ به ليس أولاً تعلُّقه بأخلاقيّة معينة بل تعلُّقه بشخص يسوع المسيح الذي لا ينفكُّ يدهلنا بشدّة حبه لنا وللقريب؛ فهو، بهذا بالذات، يُعطي معنىً للوجود. وكلّما أدرجنا كلمة الله في حياتنا، استطعنا الاسهام في النموّ الإنسانيّ لمجتمعاتنا.

* (تيموثي رادكليف، لماذا نحن إذن مسيحيّون؟، منشورات فلانماريون، ٢٠١٠، ص ٥٩)

ثالثاً - نصوص للتفكير

التزام المسيحيّ كتلميذ للمسيح: بناء حضارة المحبّة

٥٥١- يتميّز حضور المؤمن العلمانيّ في الحقل الاجتماعيّ بالخدمة -علامة المحبّة ومظهرها- التي تظهر من زوايا خاصّة في الحياة العائليّة والثقافيّة والمهنيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. فالمؤمنون العلمانيّون، بانصياعهم إلى مقتضيات حقل التزامهم الخاصّ، يُعربون عن حقيقة إيمانهم، وفي الوقت عينه، عن حقيقة عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة، التي تتحقّق في الملء عندما تُعاش في تعابيرٍ ملموسةٍ من أجل أن

تحلّ المشاكل الاجتماعيّة. إنّ مصداقيّة العقيدة الاجتماعيّة تقوم فعليّاً على شهادة الأعمال قبل أن تقوم على تماسكها ومنطقها الداخليين.

٥٦٣- أمام تعقيد الوضع الاقتصاديّ العصريّ، يدعُ المؤمن العلمانيّ نفسه ينفاد في عمله من قبل مبادئ تعليم الكنيسة الاجتماعيّ الرسميّ. من الضروريّ إذاً أن تكون هذه المبادئ معروفة ومقبولة في النشاط الاقتصاديّ نفسه. لأنّها، إذا لم تكن مُحترَمة، وبخاصّة الطابع المركزيّ للشخص البشريّ، فإنّ نوعيّة النشاط الاقتصاديّ تتعرّض للخطر.

إنّ التزام المسيحيّ يُترجمُ أيضاً بجهديّ فكريّ ثقافيّ يسعى إلى التمييز حول الأنماط الحاليّة للتطور الاقتصاديّ والاجتماعيّ. فاقنصارُ مسألة التطور على موضوع تقنيّ بشكلٍ محصور يُوازي إفراغها من محتواها الحقيقيّ الذي، بالمقابل، يتعلّق ((بكرامة الإنسان والشعوب)).

٥٦٥- إنّ السياسة، في نظر المؤمنين العلمانيين، هي تعبيرٌ موصوفٍ ومتطلّبٍ عن الالتزام المسيحيّ في خدمة الآخرين. فالبحث عن الخير العام في ظلّ روح الخدمة، وتطوير العدالة مع اهتمامٍ خاصٍ بأوضاع الفقر والألم، واحترام استقلاليّة الحقائق الأرضيّة، ومبدأ الاستطراذيّة، وتشجيع الحوار والسلام من منظور التضامن، تلك هي التوجّهات التي ينبغي أن يستوحيها العمل السياسيّ للمسيحيين العلمانيين. إنّ جميع المؤمنين، بصفتهم مواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات، مُلزمون باحترام هذه التوجّهات؛ فالذين منهم يضطلعون بمهام مباشرة ومؤسّساتيّة في إدارة إشكاليّات الشأن العام المعقّدة، كما الذين يعملون في الإدارات المحليّة والمؤسّسات الوطنيّة والدوليّة، عليهم جميعاً أن يأخذوا ذلك بالحسبان.
(من خلاصة العقيدة الاجتماعيّة للكنيسة)

الزّوجان هما معاً تلميذُ المسيح

إسمحو لي أن أُعبّر عن فكر الله في شأن الزّوجين على طريقة شارل بيغي، الكاتب الفرنسيّ المنسيّ جدّاً في هذه الأيام.

يقول الله: ((أيّها الزّوجان المسيحيان، أنثما فخري ورجائي. عندما خلقتُ السماء والأرض، وفي السماء النّيرات العظيمة، رأيتُ في خلّقي آثارَ كمالاتي، ووجدتُ أنّ ذلك حسنٌ...))

ومع ذلك، لم أرَ في أيّ مكانٍ صورةً حياتي الأكثر خفيّة، الأكثر حرارةً. وحينئذٍ، استيقظتُ فيّ الحاجةُ إلى أن أكشفَ أفضلَ ما في ذاتي: فكنتما أجمل خلّقتي.

وهكذا خلقتُكما، أيّها الزّوجان البشريان، 'على صورتَي كمتالي'، ورأيتُ أنّ ذلك حسنٌ جدّاً.

في وسط الكون، حيث تُشيد كلُّ خليفة بمجدي وتحتفل بكمالاتي، تفجّر الحُبُّ أخيراً لكي يكشفَ حُبّي.

أيّها الزّوجان البشريان، يا خلّقتي الحبيبة، وشاهدي المُميّز، هل تفهمان لماذا أنتما الأعرّ عندني بين جميع الخلائق؟ هل تُدرِكان الرجاء الواسع الذي أضعه فيكما؟

أنتما تحملان سمعتي ومجدي، أنتما للكون علة الرجاء العظيمة... لأنكما الحب..))

فلننظر عن قرب إلى رسالتكما كشاهدٍ لله. إنَّ الطريقة الأولى للقيام بهذه الرسالة هي أن تعيشا دائماً حبكما بشكلٍ أكمل، وأن تعملوا على أن يستثمر كلُّ منكما طاقاته كلها ويظهر أميناً، سعيداً، خصباً.

صحيحٌ أن ذلك يفوق إمكانياتكما وحدها: إذ سرعان ما يلاحظ الزوجان أن الشرَّ ناشطٌ دوماً في داخل الأسرة. لذلك، عليكما بالضرورة اللجوء إلى نعمة المسيح مُخلِّص الأزواج. غير أن اتِّحادكما يصير في الحال شاهداً لله المخلِّص وليس لله الخالق فقط. وسوف تؤدي أسرتكما شهادةً لله أكثر صراحةً ووضوحاً إذا كانت اتِّحاداً بين ((باحثين عن الله))، بحسب العبارة الرائعة في المزامير. باحثان يسعيان عقلاً وقلباً إلى معرفة الله واللقاء به. شخصان مشغوفان بالله، ينتظران بفارغ الصبر لحظة الاتحاد به... مثل هذه الأسرة، لا تتعرض لخطر التحول إلى نوعٍ من الغيتو حيث يُغلق الزوجان على نفسيهما بعيداً عن مشاكل العالم ومخنه. مثل هذه الأسرة، يأتي إليها الناس لتجديد قواهم في الحب المتبادل والصلاة والراحة، وليذهبوا منها بزخمٍ جديد فينكبون على مهامهم البشريَّة كخُدامٍ ((لله المُحبِّ البشر)). وهكذا فالأزواج المسيحيون هم في وسط العالم شهودٌ لله الحيّ...

أتمنى أن أعرف كيف أنقل إليكم قناعتي بأنَّ أسرةً مؤلَّفةً من ((باحثين عن الله)) في عالم لم يعُد يؤمن بالحبِّ، هي ((ظهورٌ إلهي)) مثلما كانت بالنسبة إلى موسى عليقة البرية التي كانت تشتعل ولا تحترق. الأب هنري كافاريل، فرق السيِّدة في وجه الإلحاد، ص ١٤٤ وما يليها

عيشُ الإيمان

بوسع أيِّ إنسانٍ أن يقول: ((الله محبة)). ولكنَّ هذا التأكيد لن يكون له معنىً مسيحيًّا إلا إذا كان صادراً عن جماعةٍ يُحبُّ الناس فيها بعضهم بعضاً وإن كان حبُّهم غير كاملٍ ومهما كانت ضعفاتهم. إذا قلنا إنَّ يسوع قام من بين الأموات ولم يكن في حياتنا أيُّ علامةٍ على القيامة، نستطيع الكلام على القيامة بقدر ما نشاء، غير أنَّ كلماتنا تبقى بلا معنى.

نحن نتذمَّر غالباً من أنَّ الشباب يجهلون كلَّ شيءٍ عن المسيحية، ولكنَّ سوف يكون نوعاً من إضاعة الوقت إنتاجُ نصوصٍ مرئيةٍ مسموعة (فيديو) وبرامجٍ إذاعيةٍ أو تلفزيونيةٍ، من دون أن نقوم بجهدٍ لكي نجعل من الكنيسة مكاناً تشعُّ فيه الحرية والشجاعة والفرح والرجاء. يتعيَّن علينا أن نعيش الكلمات التي نطق بها. للحقيقة قيمةٌ، غير أنَّ كلماتنا ليس لها معنىٌ إلا إذا كانت متجسِّدة في جماعات تعرف كيف تُوجِّهنا، أبعَد من ذواتنا، نحو ذلك الذي جاء ليبحثَ عنَّا ويُعطينا كلمته. كان القديس أنطونيوس البدواني، وهو واعظ من القرن الثالث عشر، يشتكي من أنَّ الكنيسة في زمنه كانت ((منتفخة بالكلمات)). هذا الواقع لم يتغيَّر كثيراً. نحن نواصلُ إنتاجَ أطنانٍ من الوثائق والمستندات والعديد من المواعظ الطويلة والمُملَّة،

ولكن، إن لم يكن الناس يستطيعون أن يلاحظوا في حياتنا مثل هبة من الحرية، فسوف ينظرون إلى الإنجيل الذي نُبشّر به نظرة مشوّهة.

إن سبب وجود المسيحية هو توجيه الناس نحو الله وتعيينه كوجهة وكمعنى لحياتنا. إن الرجاء معلق على القناعة بأن الوجود البشري له سبب نهائي للكينونة؛ وبدون ذلك، تكون المسيحية وسائر الديانات الأخرى إضاعة وقت...

يجب أن يكون واضحاً أن الوصول إلى الحرية الحقيقية والسعادة الحقّة يقتضي منا تحولاً عميقاً. فالحرية ليست مجرد القدرة على الاختيار بين عدّة إمكانيات، والسعادة ليست مجرد شعور لطيف مُحَبَّب. إنهما سبيلٌ إلى تقاسم حياة الله، وهما يتطلبان منا نوعاً من الموت والقيامة. وهذا أمرٌ مريعٌ! تلزّمنا الشجاعة لكي ننيح لهذا الكائن بقربنا أن يُحرّزنا وأن يملأنا فرحاً... والشجاعة هي الفضيلة التي نحن في حاجة ماسّة إليها اليوم في الكنيسة.

تيموثي رادكليف، لماذا نحن إذن مسيحيون؟، منشورات فلاماريون، ٢٠١٠، ص ١٢-١٤

رابعاً - مسارات لواجب المجالسة

- بحسب دعوة الأب كافاريل، كيف نتيح لكلٍ من الرّوجين ((أن يستثمر طاقاته))؟
- هل إن حبنا هو مصدرُ فرحٍ وتفاؤلٍ وشجاعة لحياتنا؟

خامساً - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتية

- ما هي الأعمال التي أتاحت لنا خلال الشهر المنصرم، وفي حياتنا المهنية وعائلتنا والتزاماتنا، أن نعيش إيماننا بطريقة ملموسة وأن نشهد له؟

صلاة

١٦ ((هَاءَ نَذَا أُرْسِلُكُمْ كَالْخِرَافِ بَيْنَ الدُّنَابِ: فَكُونُوا كَالْحَيَّاتِ حَاذِقِينَ وَكَالْحَمَامِ سَادِجِينَ.

١٧ اِحذروا النَّاسَ، فَسَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ، وَيَجْلِدُونَكُمْ فِي مَجَامِعِهِمْ،

١٨ وَتُسَاقُونَ إِلَى الْحُكَّامِ وَالْمُلُوكِ مِنْ أَجْلِي، لِتَشْهَدُوا لَدَيْهِمْ وَلدى الْوَثْنِيِّينَ.

١٩ فَلَإِ يَهْمَكُمْ حِينَ يُسَلِّمُونَكُمْ كَيْفَ تَتَكَلَّمُونَ أَوْ مَاذَا تَقُولُونَ، فَسَيُلْقَى إِلَيْكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ.

٢٠ فَلَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ، بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِكُمْ.

(متى ١٠: ١٦-٢٠)

المشاركة الروحية – بعض المسارات

- لماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- ما هي أدوار ومهام ومسؤوليات الإنسان المسيحي في الحياة المدنية؟
- ما هو مكان الرجاء المسيحي في مقاربتنا لحقائق العالم، وفي مقاربتنا للأديان الأخرى؟
- «إن لم يكن الناس يستطيعون أن يلحظوا في حياتنا مثل هبة من الحرية، فسوف ينظرون إلى الإنجيل الذي نُبشّر به نظرة مشوهة». ما رأيكم بهذا القول لتيموثى رادكليف؟

المزمور ٩١ (٩٢)

٢ صَالِحِ الْحَمْدُ لِلرَّبِّ وَالْعَزْفُ لِأَسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيِّ
٣ وَالْإِخْبَارُ بِرَحْمَتِكَ فِي الصَّبَاحِ وَبِأَمَانَتِكَ فِي اللَّيَالِي
٤ عَلَى عُشَارِي الْأوتَارِ وَالْعُودِ وَعَلَى تَقَاسِيمِ الْكِنَارَةِ
٥ لِأَنَّكَ يَا رَبُّ بِصُنْعِكَ فَرَّحْتَنِي وَأَعْمَالَ يَدَيْكَ أَهَلَّلْتُ.
٦ مَا أَعْظَمَ، يَا رَبُّ، أَعْمَالُكَ وَمَا أَعَمَّقَ أَفْكَارُكَ!
١٣ الْبَارُّ كَالنَّخْلِ يَسْمُو وَمِثْلَ أَرْزِ لُبْنَانَ يَنْمُو.
١٤ مَنْ فِي بَيْتِ الرَّبِّ يُغْرَسُونَ فِي دِيَارِ إلهِنَا يَنْبُتُونَ.

تمييز علامات الأزمنة

الاجتماع الثامن

شمولية رسالة المسيح

أولاً - كلمة الله

((جميع الأمم شركاء في الميراث))

° هذا السرّ الذي لم يُطَلَع عليه بنو البشر في القرون الماضية وكُشِفَ الآن في الرُّوحِ إلى رُسُلِهِ وأَنْبِيَاءِهِ الْقَدِيسِينَ،^٦ وهو أَنَّ الْوَثْنِيِّينَ هم شركاء في الميراثِ والجسدِ والوَعْدِ في المسيح يسوع، ويعودُ ذلك إلى البشارة^٧ التي صرّت لها خادِمًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ التي وَهَبَتْهَا لي عَزَّتُهُ الْقَدِيرَةُ.^٨ أنا أَصْغَرَ صِغَارِ الْقَدِيسِينَ جَمِيعًا وَهَبْتُ لي هذه النِّعْمَةُ وهي أَن أُبَشِّرَ الْوَثْنِيِّينَ بما في المسيح مِن غَنَى لا يُسْبَرُ غَوْزُهُ،^٩ وَأُبَيِّنَ كَيْفَ حَقَّقَ ذَلِكَ السِّرُّ الَّذِي ظَلَّ مَكْتُومًا طَوَالَ الدَّهْرِ فِي اللَّهِ خَالِقِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ.

(أف ٥: ٣-٩)

لم تَغِبِ الاحْتِقَالِيَّةُ والتعجُّبُ والحِمْاسَةُ يومًا عن القديس بولس. نراه هنا مُنْبَهَرًا أمام هذه القمّة. فالسِّرُّ المكتوم منذ الدهور ينكشف. وبولس يعلن ذلك باحترام بالغ. ((إِنَّ الْوَثْنِيِّينَ (أَو الْأُمَّمَ) هم شركاء في الميراثِ والجسدِ والوَعْدِ في المسيح يسوع، ويعودُ ذلك إلى البشارة)). هل هذا سرٌّ؟ نعم، إنّما ليس بمعنى شيء ما يتعذّر فهمه، بل ما لا يمكن أن يتخيّله واحدٌ من أبناء شعب إسرائيل: للوثنيين وصولٌ إلى قُدس الأقداس، إلى قلبِ كلِّ ما يُشكِّلُ الإيمانَ وحياءَ الشعب، لهم وصولٌ إلى الآب. كان قد سبق لبطرس أن رأى ذلك: أَنَّ الْوَثْنِيِّينَ نَالُوا الرُّوحَ الْقُدْسَ مثلَ الرسل (أع ١٠: ٤٤ - ١١: ١٨). وكان الأنبياء، كأشعيا مثلاً، قد استشعروا هذا الانفتاح على الوثنيين، أمّا بولس فقد رأى ذلك. وقال، متحدثًا عن المسيح: ((وبِهِ نَجْرُؤُ، إِذَا آمَنَّا بِهِ، عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ مُطْمَئِنِّينَ)). (أف ٣: ١٢).

رسالة المسيح شاملة. وقصدُ الله هو خلاصُ البشر أجمعين. فكُلُّهم، في المسيح، ليسوا إلاً واحدًا. لا بمعنى أننا نذوب في المجموعة، إذ إنّ كلَّ واحدٍ يبقى ما هو، وله فرادته وأصالته. وبعد أن صرنا أعضاء المسيح، فإنّ حياة القائم من بين الأموات تجري في كافة زوايا وخفايا حياتنا. وهذا هو فرح الآب!

إنَّ مهمَّةَ المسيحيين هي دائماً مهمَّةٌ بولس: أن يسَلِّطوا الضوءَ للجميع على محتوى هذا السَّرِّ. إنَّه لَفَرَحٌ عظيمٌ لنا أن نكتشفَ منذ الآن، وبعد ذلك في أبديةِ الله، جميعَ الشعوبِ والأممِ واقفين أمامَ الآبِ، ((خالقِ الأشياءِ كُلِّها)).

ثانياً - عرض الفصل

إنَّ تمييزَ علاماتِ الأزمنةِ يعني أن نرى في ظاهرةِ العولمةِ فرصةً لتوسيعِ حضورِ الإنجيلِ.

في مناسبات عديدة، أعلن يسوع في الإنجيل أنه جاء ليُخْلِصَ جميعَ البشرِ دون أن يستثني أحداً منهم. وكما في زمن الرُّسُلِ، هذه الرسالة تُزَعِّجُ بعضَ الناسِ، في حين إنَّ شموليةَ الرسالةِ المسيحيةِ، في نظرِ آخرين، هي أمرٌ طبيعيٌّ وبديهيٌّ. غير أنَّ هذا القبولَ العفويَّ حُبِّ شاملٍ يتعرَّضُ اليومَ لخطرِ الذوبانِ في حُبِّ البشرِ (philanthropie) ذي الحدودِ غير الواضحةِ تماماً. إنَّ الشموليةَ المعاشةَ بهذا الشكلِ يمكن أن تقودنا إلى التباسٍ بين ما يُسمَّى حُبِّ جميعِ البشرِ ونوعٍ من التضامنِ العامِ معهم قد يؤدي إلى نسبيةٍ خطيرة. وبالفعل، هذا الحُبُّ للجميعِ يقودنا غالباً، بحجَّةِ الرغبةِ في عدمِ جرحِ الآخرِ، إلى التخلِّي عن تأكيدِ هويتنا كمسيحيين.

لماذا تأكيدُ هويتنا كمسيحيين؟ لأنَّ المسيحيين، بحسبِ كلمةِ المسيح، يحملون بركةً كبيرةً للبشريةِ جمعاء. إنَّهم حاملو البشرى الصالحة، وهم خميرةٌ رجاء. يتعيَّن علينا أن نُبرِّزَ قيمةَ علاماتِ الملكوتِ في أعينِ الجميعِ، غير أنَّ وحيَ الإنجيلِ يذهب إلى أبعد من ذلك: فالله جاء ليُخْلِصَ جميعَ الشعوبِ، جميعَ الوثنيين، جميعَ الأممِ، لكنَّه، على الأخصَّ، يتوجَّه إلى كلِّ واحدٍ مِنَّا شخصياً بالشدَّةِ نفسها التي يتوجَّه بها إلى إسرائيل أو إلى إبراهيم. إنَّ الحُبَّ الشخصي الذي يكُنُّه الله لكلِّ واحدٍ مِنَّا هو في صميمِ إيماننا. ولذلك فإنَّ العلاقةَ الحميمةَ والعميقةَ والشخصيةَ مع الله لها الأولويةُ، لأنَّها تُثيِّرُ حياتنا وتُغذِّينا وتجعلنا أقوى للتبشيرِ بالإنجيلِ الذي هو من حقِّ جميعِ البشرِ.

ثالثاً - نصوص للتفكير

فرص التبشير الجديدة في العالم اليوم

كنيستنا حيَّةٌ وهي تواجه، بشجاعة الإيمان وشهادة العديد من أبنائها، تحدِّياتِ التاريخ. نحن نعلم أنه يتعيَّن علينا، في العالمِ، أن نخوضَ المعركةَ ضدَّ ((الرئاسات والقوات))، وضدَّ ((أرواح الشرِّ)) (أف ٦: ١٢).

نحن لا نُخفي عن أنفسنا تحدياتِ ظاهرةِ العولمة ولا نخافها. إذ ينبغي أن تكون لنا فرصة لتوسيع حضور الإنجيل. كما أن موجات الهجرة ونزوح السكّان - مع ما يرافقها من ألم لهم، ومن رغبة صادقة لدينا، في أن نكون قريبين منهم من خلال استقبال هؤلاء الإخوة استقبالاً حقيقياً- تشكّل لنا، كما حصل في الماضي، فُرصاً لنشر الإيمان وروح المشاركة من خلال الأشكال المتنوعة التي تتخذها. إن نزع الصفة الدينيّة عن الناس والمجتمع، وهيمنة السياسة والدولة، تقود الكنيسة إلى إعادة التفكير في حضورها الخاص داخل المجتمع، إنّما من دون التنازل عن هذا الحضور. فأشكال الفقر العديدة والجديدة دائماً، تفتح مساحات مستحدثة لخدمة المحبّة. إنّ التبشير بالإنجيل يُلزم الكنيسة بأن تكون قريبة من الفقراء وأن تتبنّى ألمهم على طريقة يسوع. فحتى في أشكال الإلحاد والغنوصيّة الأكثر فظاظة وشراسة، نُدرِك أننا نستطيع الاعتراف، وإن كان في شكل تناقضات، لا بفراغ، وإنّما بحنين، وبانتظارٍ يرجو إيجاد جوابٍ ملائم.

في وجه هذه التساؤلات التي تطرحها الثقافات السائدة، على الإيمان والكنيسة، نُجَدِّدُ ثقتنا بالربّ، متيقّنين بأنّ الإنجيل، حتى في هذه الظروف، يحمل النور القادر على شفاء كلّ ضعفٍ في الإنسان. لسنا نحن من يقود عمل التبشير بالإنجيل بل هو الله. وكما نكرّنا البابا بندكتّس: ((الكلمة الأولى، المبادرة الحقيقية، النشاط الحقّ، تأتي كلّها من الله، ونحن، باندراجنا في هذه المبادرة الإلهيّة فقط، وبالتماسنا هذه المبادرة الإلهيّة، نستطيع أن نصير أيضاً، به وفيه، مُبشّرين)).

الرسالة الختامية لمجمع الأساقفة إلى شعب الله، روما، ٨/١٠/٢٠١٢

الخلاص موهوبٌ إلى جميع البشر

٣- يا أيّها الشعوب جميعاً، افتحوا الأبواب للمسيح! فإنجيله لا ينتقص من حرية الإنسان شيئاً، ولا من الاحترام الواجب للثقافات، ولا ممّا هو صالح في كلّ ديانة. بتقبّلكم المسيح، تفتحن على كلمة الله النهائية، على الذي به عرّفنا الله بذاته بصورة كاملة، وبه أظهر لنا الطريق التي نسلكها إليه...

٨- ... إنّ إعلان المسيح وشهادته، عندما يتّمان مع احترام الضمائر، لا يعطلان الحرّيّة. فالإيمان يوجب الإنتماء الحرّ من قِبَل الإنسان ولكن يجب أن يُعرّض هذا الإيمان عليه، لأنّ ((لجماعات الحقّ في معرفة غنى سرّ المسيح الذي نؤمن بأنّ البشريّة كلّها تستطيع أن تجد، على أكمل وجه غير منتظر، كلّ ما تبحث عنه بتعزُّر، في ما يخصّ الله والإنسان ومصيره، والحياة والموت، والحقيقة...))

١٠- إنّ شمولية الخلاص لا تعني أنّه لا يُمنح إلاّ للذين يؤمنون بالمسيح إيماناً صريحاً وللذين دخلوا في الكنيسة. إذا كان الخلاص مقدراً للجميع، فعليه أن يكون مقدّماً فعلياً للجميع. إنّما من البيّن اليوم، كما في الأمس، أنّ العديد من البشر لا يملكون إمكانيّة معرفة وحيّ الإنجيل أو تقبّله، ولا حتى دخول الكنيسة. إنّهم يعيشون في حالات اجتماعيّة وثقافيّة لا تسمح لهم بذلك، وقد تربّوا في تقاليد دينيّة أخرى.

٤٢- يؤمن الإنسان المعاصر بالشهود أكثر منه بالمعلمين...

إنَّ الوجه الأوَّل للشهادة هو حياة المرسل عينها، وحياة العائلة المسيحية والجماعة الكنسية، والحياة التي تُظهر وجهًا جديدًا للسلوك. فالمرسل الذي، بالرغم من كلِّ حدوده وعدم كماله الإنساني، يعيش ببساطة على مثال المسيح، هو علامة الله والحقائق السامية. لكنَّ الجميع في الكنيسة، ببذلهم قصارى جهدهم للاقتداء بالمعلم الإلهي، يستطيعون لا بل يتوجَّب عليهم إعطاء هذه الشهادة، ففي كثير من الحالات، هذه هي الطريقة الوحيدة الممكنة للمرء لكي يكون مُرسلاً.

إنَّ الشهادة الإنجيلية التي يكون العالم أكثر تحسُّسًا لها، إنّما هي شهادة الالتفات إلى الأشخاص وشهادة المحبة نحو الفقراء والصغار والمتألِّمين. فمجانبة هذا الموقف وهذه الأفعال التي تتعارض مع الأناثية المتملِّكة في الإنسان، تثير تساؤلات معينة موجَّهة نحو الله ونحو الإنجيل.

وكذلك فإنَّ الالتزام بقضايا السلام والعدالة وحقوق الإنسان ورقِّي الشخص البشريّ يكون شهادة إنجيلية بقدر ما يكون علامة التفاتٍ نحو الأشخاص وبقدر ما يهدف إلى تنمية الإنسان تنمية كاملة.

الرسالة الجامعة للبابا يوحنا- بولس الثاني ((رسالة الفادي))، ١٩٩٠/١٢/٧

كاثوليكية الكنيسة هي كاثوليكية المسيح

إنَّ كاثوليكية الكنيسة هي كاثوليكية المسيح. فطبيعة المسيح هي التي تعمل، وهي التي تستطيع أن تجمع الكلَّ معًا: الإنسان مع الله، والإنسان مع الإنسان. بعبارة أخرى، إنَّ الكنيسة، بسبب كاثوليكيَّتها، تُعارض كلَّ تمييز وكلَّ انقسام وكلَّ انطواء على الذات وحتى كلَّ ما يُسبِّب الانقسام، من أيِّ جهة جاء، أكان من داخل الإنسان أم من خارجه.

لا يجمع المسيح الألوان والأعراق والشعوب المنقسمة فحسب في شكلٍ واحدٍ للتفكير وفي إيمانٍ واحدٍ، بل يجمعها كلها في جسدٍ واحدٍ، بالمعنى القويِّ للكلمة، مع ما يتضمَّنه ذلك من علاقة حميمة وتفهمٍ وحبِّ. وهكذا، فالكنيسة، التي هي جسده السريِّ بالمعمودية والإفخارستيا، تجد نفسها نقطة التقاء البشرية جمعاء، نقطة الالتقاء الوحيدة لجميع الشعوب والأمم والأجناس واللغات والحساسيات، تلك التي تُدَوِّب الحواجز والاختلافات كافة. وهكذا، يصبح الجميع جسدًا كبيرًا نقيًا واحدًا، وروحًا واحدًا من الحميمية والمحبة، وإنسانًا واحدًا متصلحًا، له رأسٌ واحدٌ هو المسيح الذي يتبنَّى ما يمتلكه كلُّ عرقٍ وكلُّ شعبٍ وكلُّ لونٍ وكلُّ لغة من امتيازاتٍ ومواهبٍ، إنّما من غير أن يؤدي ذلك إلى الانقسام أو المشاجرة أو التمييز أو التفرقة. هذا هو بالضبط ما تعنيه (كاثوليكية) الكنيسة.

لماذا إذا لم تحقِّق الكنيسة ملء هذه الكاثوليكية بعد؟ - أو بالأحرى، لماذا لا تعيش في العالم، وفي الملء، وفقًا لطبيعتها الكاثوليكية التي ينبغي أن تكون جوهر حياتها في المسيح وتجلي قدرتها وسرِّ

كمالها وتمامها الإلهي؟ السبب بسيط وبديهي: إنها لم تتلقَ بعدُ ماهياتها الإلهية في نقاوتها وبُعدها الفائق الطبيعة الذي يتجاوز كلَّ منطِقٍ وعقلٍ بشريّين.

لا يمكن أن تظهر إرادة المسيح إلا حين يتخلّى كلُّ واحدٍ كليًّا عن إرادته الخاصة. وعندما يُنكر كلُّ إنسانٍ أهواءه وأحقاده، ويُخضع جسده وروحه إلى عمل الروح القدس. عندها، وعندها فقط، يظهرُ جسدُ المسيح السريّ ويعملُ في داخل الكنيسة لكي يجمع القلوب والمبادئ والأفكار.

الأب متى المسكين (أبٌ روحيّ في دير القديس مكاريوس القبطيّ في مصر)
شركة الحبّ، الروحانيّة الشرقيّة، العدد ٥٥، دير بيل فونتئين

رابعًا - مسارات لواجب المجالسة

- آيةٌ أهميّةٌ نوليها للصلاة الزوجيّة في حياتنا الإيمانيّة؟
- كيف تصير هذه الصلاة لنا كزوّجين انفتاحًا على العالم؟

خامسًا - سياق الاجتماع

مسارات تفكير للمشاركة الحياتيّة

- كيف تظهر شهادتنا الإنجيليّة في بيئتنا المهنيّة والعائليّة وبين أصدقائنا؟ وما هي ميزاتُها؟

صلاة

° هذا السرُّ الذي لم يُطلَع عليه بنو البشر في القرون الماضية وكُشِفَ الآن في الرُّوحِ إلى رُسُلِهِ وأُنبيائِهِ القديسين،^٦ وهو أنّ الوثنيّين هم شركاء في الميراث والجسدِ والوَعْدِ في المسيح يسوع، ويعودُ ذلك إلى البشارة^٧ التي صرّت لها خادمًا بنعمة الله التي وهبَتْها لي عزَّتُهُ القديرة.^٨ أنا أصغرُ صغارِ القديسين جميعًا وهبَتْ لي هذه النعمة وهي أن أبشَرَ الوثنيّين بما في المسيح من غنى لا يُسبَرُ غوره،^٩ وأبَيّن كيف حَقَّقَ ذلك السرُّ الذي ظلَّ مكتومًا طوالَ الدهورِ في الله خالقِ جميعِ الأشياءِ.

(أف ٣:٥-٩)

المشاركة الروحيّة - بعض المسارات

- كلِّما اقتربنا من الله ازدادت فُرصنا في أن «نرتب الأرض». الصلاة القلبيّة: ينبوع الحياة الداخليّة للعمل بشكلٍ أفضل كأبناءِ الله لدى إخوتنا في العالم. ما رأيكم في ذلك؟

- يقول البابا فرنسيس: ((عندما لا يُصَلِّي المسيحيون، يُغلقون الباب أمام الرب. فأَنْ لا نُصَلِّي هو أن نُغلق الباب أمام الرب لكي نمنعه من أن يفعل شيئاً)). ما رأيكم في هذا القول؟
- قاعدة الحياة هي حضور المسيح فينا وطريقاً إلى الآخرين.
- الإصغاء إلى كلمة الله يشكّل الخطوات الأولى لكي نشهد للبشرى الصالحة للجميع.

تبادل الرأي حول موضوع الدرس

- لماذا يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله وإنارة الروح القدس على التمييز في هذا الموضوع وعلى إيجاد أجوبة متوافقة مع علامات الأزمنة؟
- يفترض التأثير الكوني للرسالة المسيحية أن تُعلن هذه الرسالة إلى جميع البشر ذوي النوايا الحسنة. ماذا يُمثّل لنا التبشير الجديد بالإنجيل في قلب مجتمعاتنا المعاصرة الحائرة والباحثة عن ذاتها والتي هي في طور الصيرورة؟
- ((إنّ التبشير بالمسيح والشهادة له، إذا ما تمّ في ظلّ احترام الضمائر، لا ينتهكان الحرّية)) (يوحنا بولس الثاني). ما رأيكم في هذا القول؟
- كيف نفهم ونعيش فكرة متى المسكين عن ((طبيعة المسيح الكاثوليكية وقدرتها على توحيد الطبائع المختلفة بطريقة تفوق قدرات كلّ منها))؟

المزمور ١٥٠ (١٥١)

سَبِّحُوا اللَّهَ فِي قَدَيْسِيهِ. سَبِّحُوهُ فِي جَلَدِ قَوْتِهِ؛
 سَبِّحُوهُ لِأَجْلِ جَبَرَوْتِهِ. سَبِّحُوهُ بِحَسَبِ كَثْرَةِ عَظَمَتِهِ!
 سَبِّحُوهُ بِصَوْتِ البُوقِ. سَبِّحُوهُ بِالْكَثَّارَةِ وَالْقِيثَارَةِ؛
 سَبِّحُوهُ بِالذَّفِّ وَأَنَاشِيدِ الطَّرَبِ. سَبِّحُوهُ بِالْأوتارِ وَالْأَرْغُنِ!
 سَبِّحُوهُ بِصَنُوجِ رَنَانَةٍ. سَبِّحُوهُ بِصَنُوجِ التَهْلِيلِ!
 كُلُّ نَسَمَةٍ. فَلْنُسَبِّحِ الرَّبَّ

هَلُّوياً!

تميز علامات الأزمنة

الاجتماع التاسع - اجتماع تقييمي

واجب المجالسة للفرقة

أوليمت منهجية واجب المجالسة الشكل الأفضل لإجراء جردة لحياتنا كفرقة خلال هذه السنة المنتهية؟ إن علم التربية القائم على الإصغاء والحوار تحت نظر الرب سوف يرافقنا على مدى مناقشاتنا، وبوسعه مساعدتنا على كشف ذواتنا بعضنا لبعض.

١- الإصغاء إلى كلمة الله

« لا تضطرب قلوبكم. إنكم تؤمنون بالله فآمنوا بي أيضًا. ٢ في بيت أبي كثيرة ولو لم تكن، أتراني قلت لكم إني ذاهب لأعد لكم مقامًا؟ ٣ وإذا ذهب وأعدت لكم مقامًا أرجع فأخذكم إلي لتكونوا أنتم أيضًا حيث أنا أكون. ٤ أنتم تعرفون الطريق إلى حيث أنا ذاهب». ٥ قال له توما: «يا رب، إننا لا نعرف إلى أين تذهب، فكيف نعرف الطريق؟» ٦ قال له يسوع: «أنا الطريق والحق والحياة. لا يمضي أحد إلى الآب إلا بي. ٧ فلو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضًا. منذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه». ٨ قال له فيليثس: «يا رب، أرنا الآب وحسبنا». ٩ قال له يسوع: «إني معكم منذ وقت طويل، أفلا تعرفني، يا فيليثس؟ من رآني رأى الآب. فكيف تقول: أرنا الآب؟ ١٠ ألا تؤمن بأنني في الآب وأن الآب في؟ إن الكلام الذي أقوله لكم لا أقوله من عندي بل الآب المقيم فيي يعمل أعماله. [...]

١٦ وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيدًا آخر يكون معكم للأبد، ١٧ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يتلقاه لأنه لا يراه ولا يعرفه. أما أنتم فتعلمون أنه يقيم عنكم ويكون فيكم. ١٨ لن أدعكم يتامى، فإني أرجع إليكم. ١٩ بعد قليل لن يراني العالم. أما أنتم فسترونني لأنني حي ولأنكم أنتم أيضًا ستحيون. ٢٠ إنكم في ذلك اليوم تعرفون أنني في أبي وأنكم فيي وأني فيكم.»

(يو ١٤: ١-١٠ و ١٦-٢٠)

وقت للصمت وللصلاة القلبية بعد الإصغاء إلى كلمة الله.

٢- حياتنا كأعضاء في الفرقة

- هل عرفنا كيف نتبادل الرأي في الحقيقة خلال المشاركة الروحية التي هي الوقت الحاسم في اجتماع الفرقة؟
- هل ساعدتنا مسارات التفكير المُقترحة علينا؟ هل عشنا هذه السنة نقاطَ الجهد الملموسة لا كواجبات إكراهية، بل كمحاور للتقدم في حياتنا المسيحية؟ هل ساندنا بعضنا بعضًا؟ هل ساعدتنا لكي نتوب يومًا فيوم وأكثر فأكثر؟
- هل تأملنا بشكلٍ ملائم موضوع الدرس وحَصَرنا اجتماعاتنا الشهرية لكي نُغنيها ونجعلها مثمرة؟ ما كانت نقاط القوة ونقاط الضعف في مناقشاتنا؟ هل كان الاتصال فيما بيننا مُرضيًا؟ هل قادتنا دراسة هذا الموضوع إلى تعديل نظرتنا إلى تطوُّر العالم؟ هل نَمَتَّ فينا الوعي لمسؤوليتنا كمسيحيين في هذا التطوُّر؟
- هل خصَّصنا بعض الأوقات خارج الاجتماعات الشهرية للأخوة والصدقة مع أعضاء فرقنا؟ وهل ساعدتنا هذه الأوقات على تفاهم أفضل فيما بيننا؟

٣- علاقتنا مع حركة فرقة السيدة

- من الملاحظ أنَّ الفرق المتضامنة قليلاً مع الحركة تذبُّل وتيبس تدريجيًّا، على طريقة الأغصان، ((كما أنَّ العُصن، إن لم يَنْبُت في الكَرَمَة لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُثْمِرَ مِنْ نَفْسِهِ...)) (يو ١٥: ٤).
- أينَ أصبحنا في علاقتنا مع الحركة؟
- هل شارَكنا في النشاطات المختلفة التي نظَّمتها مسؤولونا؟ وما الذي استفدناه منها؟

٤- مساحات التقدم

- في ضوء الملاحظات الميَّنة أعلاه، فلنَجْتَهِد، تحت نظر الربِّ، في أن نجد النقاط التي من الملائم تحسينها لكي نعيش بشكلٍ أفضل، في الفرقة، مواهب فرقة السيدة.
- ولنتجرأ على أن نحدِّد لفرقتنا ولكلِّ واحدٍ مِنَّا أهدافًا مُحدَّدة نحرص على احترامها على مدى السنة المقبلة.

٥- التقييم النهائي

- فلنُصِغْ إلى الأب كافاريل يتحدَّث عن الالتزام في الفرق: ((... لا أَحَدٌ مُجْبَرٌ على الدخول إليها، ولا على البقاء فيها. ولكن، على كلِّ مَنْ انتمى إليها أن يلعبَ اللعبة بصدق ونزاهة...)).
- مع وعينا لحرِّيتنا كأبناء الله، إنَّما أيضًا لمستلزمات الحركة التي تفرضها على كلِّ واحدٍ بحسب إمكاناته، هل نختار أن نتابع في السنة المقبلة الطريق الذي تقترحه فرقة السيدة؟ من المستحسن أن يغيَّر كلُّ واحدٍ في الحقيقة عن موقفه من هذه النقطة؟

المحتويات

ص ٣	المقدمة: بقلم طو وجوزيه مورا سواريس، الزوجان المسؤولان الدوليان
ص ٥	عرض الموضوع
ص ٧	الاجتماع الأول: النظر بإيجابية إلى العالم
ص ١٥	الاجتماع الثاني: النظر إلى العالم في حالة صيرورة
ص ٢٣	الاجتماع الثالث: بناء حضارة المحبة
ص ٢٩	الاجتماع الرابع: احترام الشخص البشريّ
ص ٣٧	الاجتماع الخامس: الفقير حبيب الله
ص ٤٥	الاجتماع السادس: أن أكون حاضرًا للأخر
ص ٥٣	الاجتماع السابع: أن أكون اليوم تلميذ المسيح
ص ٥٩	الاجتماع الثامن: شموليّة رسالة المسيح
ص ٦٥	الاجتماع التاسع: التقييم
ص ٦٧	المحتويات

<><><>

